مجموعة مؤلفين

التأريخ العربي وتاريخ العرب
كيف كُتب وكيف يُكتب؟
الإجابات الممكنة



المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

هذا الكتاب

يضم هذا الكتاب البحوث والدراسات التي قُدّمت في المؤتمر التاريخي الثالث الذي عقده المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات في بيروت، بين 22 و24 نيسان/أبريل 2016، بعنوان "التأريخ العربي وتاريخ العرب: كيف كُتب وكيف يُكتب؟ الإجابات الممكنة". وهدف المؤتمر إلى البحث في احتمال كتابة تاريخ العرب، بناء على الأسئلة التي يمكن طرحها من زاوية نظر المؤرخ المعاصر، بدءًا بالسؤال: هل من تاريخ للعرب وحدهم، وهل من تاريخ واحد للعرب، ونهايةً بأسئلة التحقيب. تطرح هذه الأسئلة بالطبع من زاوية نظر التأسيس لأمة عربية، ومن زاوية نظر الدولة العربية بعد الاستقلال، وأخيرًا من زوايا نظر نقدية أخرى، رصدها هذا المؤتمر وناقشها، مع أخذ النهضة التي شهدتها الكتابة التاريخية العربية، بدءًا من عشرينيات القرن العشرين وثلاثينياته، واتسمت باستخدام مناهج البحث التاريخي الحديث.

المؤلفون المساهمون

إبراهيم القادري بوتشيش
أحمد أبو شوك
أحمد الشبول
أمل غزال
أنور زناتي
حماه الله ولد السالم
خالد زيادة
سامر عكاش
صالح علواني
طارق مداني
عبد الرحمن شمس الدين
عبد الرحيم بنحادة
عبد العزيز الطاهري
عبد العزيز لبيب
عبد الله علي إبراهيم
عبد الواحد المكني
عز الدين جسوس
عمار السمر
عمرو عبد العزيز منير
فاطمة بن سليمان
محاسن عبد الجليل
محمد الأزهر الغربي
محمد حبيدة
محمد حمزة
محمد الطاهر المنصوري
محمد عز الدين
محمد مرقطن
مسعود ديلمي
مهند مبيضين
نجلاء مكاوي
نصير الكعبي
نهى خلف
وجيه كوثراني
يحيى بولحية

إعداد وتنسيق
وجيه كوثراني

السعر: 36 دولارًا

ISBN 978-614-445-138-0
9 786144 451380

المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

التأريخ العربي وتاريخ العرب
كيف كُتب وكيف يُكتب؟
الإجابات الممكنة

التأريخ العربي وتاريخ العرب
كيف كُتب وكيف يُكتب؟
الإجابات الممكنة

إبراهيم القادري بوتشيش
أحمد أبو شوك
أحمد الشبول
أمل غزال
أنور زناتي
حماه الله ولد السالم
خالد زيادة
سامر عكاش
صالح علواني
طارق مداني
عبد الرحمن شمس الدين
عبد الرحيم بنحادة
عبد العزيز الطاهري
عبد العزيز لبيب
عبد الله علي إبراهيم
عبد الواحد المكني
عز الدين جسوس
عمار السمر
عمرو عبد العزيز منير
فاطمة بن سليمان
محاسن عبد الجليل
محمد الأزهر الغربي
محمد حبيدة
محمد حمزة
محمد الطاهر المنصوري
محمد عز الدين
محمد مرقطن
مسعود ديلمي
مهند مبيضين
نجلاء مكاوي
نصير الكعبي
نهى خلف
وجيه كوثراني
يحيى بولحية

إعداد وتنسيق
وجيه كوثراني

المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

الفهرسة في أثناء النشر - إعداد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

التأريخ العربي وتاريخ العرب كيف كُتب وكيف يُكتب؟ الإجابات الممكنة/ إبراهيم القادري بوتشيش...
[وآخ.]؛ إعداد وتنسيق وجيه كوثراني.

1056 ص.: إيض.، جداول، خرائط؛ 24 سم.

يشتمل على إرجاعات ببليوغرافية وفهرس عام.

ISBN 978-614-445-138-0

1. التأريخ - ندوات ومؤتمرات. 2. المؤرخون العرب. 3. البلدان العربية - تاريخ - ندوات ومؤتمرات. 4. التاريخ الإسلامي - مصادر. أ. بوتشيش، إبراهيم القادري. ب. كوثراني، وجيه. ج. المؤتمر السنوي للدراسات التاريخية (3: 2016: بيروت).

907.2

العنوان بالإنكليزية

Arab Historiography and Arab History:
Past and Present Forms of Writing

by Multiple Authors

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن
اتجاهات يتبناها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

الناشـر

المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

شارع الطرفة - منطقة 70

وادي البنات - ص. ب: 10277 - الظعاين، قطر

هاتف: 00974 40356888

جادة الجنرال فؤاد شهاب شارع سليم تقلا بناية الصيفي 174

ص. ب: 4965 11 رياض الصلح بيروت 2180 1107 لبنان

هاتف: 8 991837 1 00961 فاكس: 1991839 00961

البريد الإلكتروني: beirutoffice@dohainstitute.org

الموقع الإلكتروني: www. dohainstitute.org

الطبعة الأولى

بيروت، نيسان/ أبريل 2017

المحتويات

القسم الثاني
مسائل واتجاهات في التواريخ الوطنية

القسم الثالث

التاريخ المقارن ومسائل من حقل الذاكرة والتاريخ

الفصل الرابع

الحضارات القديمة في البلدان العربية ومسألة تكوين الهوية التاريخية لأمة العرب

محمد مرقطن

مقدمة عامة

من المعروف أن بلاد العرب شهدت ظهور أولى الحضارات في العالم؛ فمنذ نهاية الألف الرابع قبل الميلاد، ظهرت حضارات سومر وبابل وأشور في بلاد الرافدين[1] والحضارة الفرعونية في وادي النيل[2]، وحضارة أيبلا وأوغاريت والحضارة الكنعانية والأرامية في بلاد الشام[3]، وحضارة دلمون في شرق الجزيرة العربية[4]، وحضارة مجان في عُمان، وحضارات عرب الجنوب من سبئية وقتبانية ومعينية وحميرية في جنوب غرب الجزيرة[5]، وحضارات وسط الجزيرة، مثل

(1) Gwendolyn Leick (ed.), *The Babylonian World*, The Routledge Worlds (New York: Routledge, 2007), and Daniel Potts (ed.), *A Companion to the Archaeology of the Ancient Near East*, Blackwell Companions to the ancient world (Chichester: Wiley-Blackwell, 2012).

(2) Donald B. Redford (ed.), *The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt*, 3 vol. (Oxford: Oxford University Press, 2002).

(3) Niels Peter Lemche, *The Canaanites and Their Land: The Tradition of the Canaanites*, Journal for the Study of the Old Testament: Supplement series 110 (Sheffield: JSOT Press, 1991).

(4) ت. دانيال بوتس، **الخليج العربي في العصور القديمة**، ترجمة إبراهيم خوري، 2 ج (أبو ظبي: المجمع الثقافي، 2003).

(5) كريستيان روبان وبوركهات فوكت، **اليمن: في بلاد ملكة سبأ**، ترجمة بدرالدين عرودكي (باريس: معهد العالم العربي، 1999).

كندة ولحيان وتيماء[6]، وكذلك شمال الجزيرة وأطرافها مثل الأنباط[7] والحضر[8] وتدمر[9]. تُضاف إلى ذلك كله حضارة الليبو والجرمانتيين في ليبيا، وحضارات الأمازيغ في الجزائر والمغرب وقرطاجنة في بلاد المغرب العربي[10]. وقد ورثت أمة العرب هذه الحضارات ودمجتها في تاريخها هي وغيرها ممن غزا بلادها من اليونان والرومان[11]... وغيرهم.

لا يناقش هذا البحث نشأة هذه الحضارات وتطورها، بل يناقش مسألة منهجية كتابة تاريخها وعلاقاتها بوعي أمة العرب التاريخي وتكوين الهوية العربية.

أولًا: إعادة اكتشاف الحضارات القديمة في البلدان العربية

لم يكن لدى شعوب الشرق الأدنى القديم وعي تاريخي أو وعي لدراسة الماضي، واستمرت تلك الحال حتى العصور الحديثة. لكن تجدر الإشارة إلى أن هذه الشعوب حافظت على تراثها اللغوي على امتداد آلاف الأعوام، ووضعته في مكتبات خاصة، وأعادت كتابة آدابها، كما حدث ذلك مثلًا عندما أمر الملك الآشوري أشوربانيبال (669-627 ق. م.) بإعادة نسخ الآداب المتعارف عليها في زمنه وجمعها في مكتبة خاصة حملت اسمه، واكتشفتها بعثة إنكليزية، وهي

(6) Ali Ibrahim Al-Ghabban, [et al.] (eds.), *Roads of Arabia: Archaeology and History of the Kingdom of Saudi Arabia* (Paris: Somogy Art Publishers and Musée du Louvre; Washington, DC: Arthur M. Sackler Gallery, Smithsonian Institution, 2010).

(7) Glenn Markoe (ed.), *Petra Rediscovered: The Lost City of the Nabataean Kingdom* (London: Thames & Hudson, 2003).

(8) Lucinda Dirven (ed.), *Hatra: Politics, Culture and Religion between Parthia and Rome* (Stuttgart: Franz Steiner Verlag, 2013).

(9) Michael Sommer, *Roms orientalische Steppengrenze: Palmyra, Edessa, Dura-Europos, Hatra: Eine Kulturgeschichte von Pompeius bis Diocletian*, Oriens et occidens 9 (Stuttgart: Franz Steiner Verlag, 2005).

(10) غابرييل كامب، البربر: ذاكرة وهوية، ترجمة عبد الرحيم حزل (الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، 2014)، وجمال مختار (محرّر)، تاريخ أفريقيا العام: المجلد الثاني: حضارات أفريقيا القديمة (باريس: جنن أفريك، اليونسكو، 1986).

(11) Fergus Millar, *The Roman Near East, 31 B.C. - A.D. 337* (Cambridge: Harvard University Press, 1993).

محفوظة حاليًا في المتحف البريطاني في لندن[12]. أما مسألة الحفاظ على كثير من المواقع الأثرية والمعابد في الشرق القديم واستمراريتها إلى اليوم، فترجع إلى غرق هذه المواقع والمعابد في الرمال أو الأتربة، إضافة إلى قدسية المكان، حيث كان أصحاب هذه الحضارات يعتقدون أنه لا يجوز تدنيس المعابد ولا العبث بها أو أخذ محتوياتها، إضافة إلى أن العرب المسلمين ابتعدوا عن الأماكن الأثرية ولم يسكنوها بسبب اعتقادهم أنها كانت مسكونة من الجن والعفاريت. ولكن تجدر الإشارة إلى أن هناك محاولات عدة أجريت للتعرف إلى الماضي، ولعل أهمها الحفريات الأثرية التي قام بها آخر الملوك البابليين نبونائيد (556-539 ق. م.) بهدف التعرف إلى ماضي المعابد المعماري من أجل ترميمها، وعُثر فيها على ألواح مسمارية[13].

تعود بداية اكتشافات حضارت الشرق القديم إلى نحو منتصف القرن التاسع عشر. وقد ترافق ذلك مع ضعف الدولة العثمانية ومحاولة الدول الغربية السيطرة عليها[14]. وفي فترة وجيزة (1842-1854)، استطاع القنصل الفرنسي في الموصل بول إيميل بوتا (P-É. Botta) (1802-1870) والإنكليزي أوستن هنري لايرد (A. H. Layard) (1817-1894) الكشف عن العواصم الأشورية خورسباد (دار شروكين) ونينوى، وشحن كثير من الثيران المجنحة التي كانت تحرس بوابات هذه المدن إلى متحف اللوفر والمتحف البريطاني. ثم حفرت بعثة ألمانية في بابل قبيل الحرب العالمية الأولى، وكانت البعثة برئاسة روبرت كلديوي (R. Koldewey) (1855-1925) الذي يُنسب إليه اكتشاف الحدائق المعلقة. وقامت البعثة تلك بتزويد متحف برلين بالآثار البابلية، ومنها بوابة عشتار الشهيرة. ومنذ بداية الاكتشافات الأثرية وحتى بداية ستينيات القرن الماضي، أجازت البعثات الأثرية الأجنبية لنفسها أن تأخذ معظم المكتشفات

(12) Klaas R. Veenhof (ed.), *Cuneiform Archives and Libraries: Papers Read at the 30e Rencontre Assyriologique Internationale, Leiden, 4-8 July 1983*, Uitgaven van het Nederlands Historisch-Archaeologisch Institute Istanbul 57 (Leiden: Brill, 1986).

(13) Potts, and Dietz-Otto Edzard, *Geschichte Mesopotamiens* (München: C. H. Beck, 2009), p. 244.

(14) Mario Liverani, «Imperialism,» in: Susan Pollock & Reinhard Bernbeck (eds.), *Archaeologies of the Middle East Critical Perspectives* (Oxford: Blackwell, 2005), pp. 223-243.

الأثرية إلى بلادها. وكانت فترة النصف الثاني من القرن التاسع عشر زمن نشوء كثير من العلوم في أوروبا، ومنها علم التاريخ والآثار والأديان واللاهوت، والتي ثبتت أقدامها في الجامعات الأوروبية والمراكز البحثية الخاصة التي أسست لهذا الغرض ولا تزال مستمرة. وقام الأوروبيون باختراع علم الإثنولوجيا للشعوب التي وصفوها بأنها بدائية[15]، وعلم الاستشراق للشعوب العربية والإسلامية ذات التراث الثقافي العريق[16].

ارتبطت هذه الاكتشافات بهدفين أساسين، أولهما هو **الهدف الاستعماري**، وهو عملية إخضاع مصادر المعرفة والتراث لسلطة المستعمر، والتحكم فيها، وجلب اللقى والتحف الأثرية، وملء المتاحف الأوروبية بها. وإلى حد قريب من القرن الماضي، كانت البعثات الأوروبية تحمل معها إلى بلادها كل ما تكتشفه، أو على الأقل نصفه أو جزءًا منه[17]. وثانيهما هو **الهدف الديني - التوراتي**، حيث إن منذ بداية القرن التاسع عشر بدأت رحلات استكشافية في بلاد المشرق العربي، وخصوصًا فلسطين، بغية البحث عن بيئة الأرض المقدسة وجغرافيتها ونشأة المسيحية. ولم تنقطع العلاقة الروحية بين أوروبا وفلسطين بعد الحروب الصليبية. إضافة إلى الحجّاج الذين لم تنقطع وفود الرحالة منهم، كان هناك كثير من البعثات التبشيرية والرحالة الذين كانوا يتباكون على الأرض المقدسة التي يسكنها أقوام بدائيون، بحسب وصفها لهم[18].

تطور الأمر سريعًا لتشكيل مدارس خاصة بالتوراتيين، مع فروع لها في القدس، وكل واحد من أولئك التوراتيين يحمل كتاب التوراة بيد والمعول بيد أخرى، وفي أمخاخهم أن القصص التوراتي حقيقة ربانية مطلقة ولا بد من البحث عنها ورؤيتها على الأرض. وقامت بريطانيا بتأسيس صندوق اكتشاف فلسطين (Palestine Exploration Fund) في عام 1865 بهدف برهنة فحوى الكتاب

(15) Ibid, pp. 223-243.

(16) إدوارد سعيد، الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة محمد عناني (القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، 2006).

(17) Liverani, «Imperialism,» pp. 223-243.

(18) Nadia Abu El-Haj, *Facts on the Ground: Archaeological Practice and Territorial Self-Fashioning in Israeli Society* (Chicago: The University of Chicago Press, 2002).

المقدس أثريًا، واتخذ الألمان منه أنموذجًا، وأسسوا في عام 1877 معهدهم الخاص بدراسة تاريخ فلسطين وحضارتها وأسموه المعهد الألماني لدراسة فلسطين (Deutscher Palästinaverein) أو (Deutscher Verein zur Erforschung Palästinas). وأسس الفرنسيون معهدهم الخاص بهم المسمى المعهد التوراتي (École Biblique) أو المعهد التوراتي الفرنسي لدراسة الآثار في القدس (École biblique et archéologique française de Jérusalem). وقامت الولايات المتحدة في عام 1900 بتأسيس منظومة المدارس الأميركية للبحوث الشرقية (American Schools of Oriental Research)، ومنها معهد ألبرايت في القدس. وترافق مع ذلك إصدار مجلات متخصصة بشأن هذه المعاهد ما زالت تصدر حتى الآن[19].

منذ نهاية القرن التاسع عشر، أُسست من أجل تحقيق هذين الهدفين، أي الاستعماري والديني - التوراتي، معاهد علمية وجمعيات توراتية علمية متخصصة في أنحاء بلاد الغرب كافة. وليس هناك من جامعة مرموقة في الغرب، إلا ما ندر، تخلو من معهد لدراسة آثار الشرق القديم ولغاته وثقافاته، بل ولتقوم هي أيضًا بإجراء حفريات أثرية للبحث عن الحضارات القديمة في البلدان العربية، وبعقد المؤتمرات العلمية. علاوة على أن هذه المعاهد والجمعيات تُصدر مئات الدوريات والكتب. وضمن هذين الهدفين، قام العلماء الآثاريون الغربيون والتوراتيون بكتابة تاريخ حضارات الشرق القديم بنَفَس تُشتم منه رائحة التعصب التوراتي أو أيديولوجية النَفَس الاستعماري في طيّات آلاف الكتب والمجلات والمقالات التي كتبها هؤلاء العلماء في المئة وخمسين عامًا الأخيرة[20].

ثانيًا: عن كتابة تاريخ الحضارات القديمة في البلدان العربية في زمن الاستعمار

لا شك في أن كثيرين من علماء الغرب من مكتشفي حضارات العرب في نهاية القرن التاسع عشر وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية كانوا من السياسيين

---

(19) Adel H. Yahya, «Archaeology and Nationalism in the Holy Land,» in: Susan Pollock & Reinhard Bernbeck (eds.), *Archaeologies of the Middle East Critical Perspectives* (Oxford: Blackwell, 2005), pp. 66-77.

(20) Ibid, pp. 66-77, and El-Haj.

والقناصلة والجواسيس العاملين في سلك الاستخبارات الاستعمارية، مثل جون فيلبي (J. Philby) (1885-1960) الذي طاف الجزيرة العربية، وليونارد وولي (L. Woolley) (1880-1960) الذي حفر في مدينة أور في جنوب العراق، محاولًا إثبات طوفان نوح، والقائمة تطول.

لكن لا بد من القول إن علماء الغرب هم الذين أسسوا دراسات حضارات الشرق القديم، وطوروا جوانب مختلفة من دراسة هذه الحضارات، وهم الذين فكوا رموز الخط المسماري والكتابة الهيروغليفية وخط المسند، أي الخط العربي الجنوبي ...إلخ، وثبّتوا هذه العلوم كجزء من ثقافتهم وهويتهم الحديثة(21).

يمكن أن نميّز بين نمطين من علم الآثار زمن الاستعمار: نمط **علم الآثار ذي التوجهات القومية**، الذي ارتبطت نشأته في أوروبا في القرن التاسع عشر بالمسألة القومية، وبدأت التحريات الآثارية في البلدان الأوروبية المختلفة لتثبيت الشخصية القومية لتلك البلدان(22)، وأُخذ بهذا النمط من علم الآثار في معظم بلدان العالم، ومنها بلدان العرب لكن بصورة مشوَّهة في كثير من الأحيان بسبب عدم قدرة علماء الآثار العرب على تطوير مؤسسة وطنية مستقلة قادرة عن التعبير عن هوية البلدان المعنية ومتطلباتها. وغالبًا ما استمرت سلطات الاستعمار نفسه في إدارة مؤسسات الآثار، ونشر التقارير الأثرية بلغته، كالفرنسية في دول المغرب العربي وسورية، والإنكليزية في الأردن، والإيطالية في ليبيا(23).

وهناك النمط الآخر، **علم الآثار الاستعماري**، وهو علم إثنو - أوروبي وحبيس المركزية الأوروبية بامتياز. وقد جرى تطويره للبحث في ماضي الشعوب التي استعمرها الأوروبيون، ومارسوا في حقها التطهير العرقي، وقضوا على عدد كبير من السكان الأصليين لإحلال مواطنيهم محلهم، كما حدث في الأميركيتين

---

(21) William W. Hallo, *Origins: The Ancient Near Eastern Background of Some Modern Western Institutions*, Studies in the History and Culture of the Ancient Near East 6 (Leiden: Brill, 1996).

(22) Bruce G. Trigger, «Alternative Archaeologies: Nationalist, Colonialist, Imperialist,» *Man*, New Series, vol. 19, no. 3 (1984), pp. 355-370.

(23) Neil Asher Silberman, «Desolation and Restoration: The Impact of a Biblical Concept on Near Eastern Archaeology,» *Biblical Archaeologist*, no. 54 (1991), pp. 81-82.

وأستراليا، أو حاولوا فعل الأمر نفسه في بلدان أخرى مثل فلسطين وجنوب أفريقيا. تُضاف إلى ذلك البلدان التي استعمرها الأوروبيون فترة طويلة من الزمن، مثل الجزائر وجنوب اليمن[24].

أدخل الغربيون دراسة الحضارات القديمة ضمن مخططاتهم الاستعمارية منذ حملة نابليون بونابرت على مصر والشام (1798–1801)، وكان نابليون قد اصطحب معه فريقًا علميًا[25]. ويعتقد الأوروبيون أنهم الوارثون الشرعيون للثقافة الروحية للشرق الأدنى القديم أكثر مما هم سكانه الآن[26]، وهذا هو سرّ اهتمامهم بدراسة حضارة بلاد العرب.

قامت الدول الاستعمارية، خصوصًا بريطانيا وفرنسا في المنطقة العربية، فور سيطرتها على هذه البلدان، بتأسيس دوائر للآثار شرعت بدورها في القيام بالحفريات والتحريات الأثرية، استمرت بالتركيبة نفسها إلى حد ما بعد الاستقلال[27].

إن أهم مقولة لعلم الآثار الاستعماري مقولة أن ليس لسكان البلاد المستعمَرة علاقة بأهل الحضارات القديمة التي يدرسونها على أرضهم، وأن ليس ثمة رابطة أو صلة بها، وهم غرباء وطارئون، وبالتالي ليس أهل البلاد هم الوارثين الشرعيين لهذه الحضارات، بحسب رأي المستعمِرين. وعادة ما يشار في منشورات الحفريات الأثرية الأوروبية في بلدان العالم العربي إلى مجموعات من البدو أو السكان البدائيين الذين شاركوا كعمالٍ في عمل البعثات الأثرية في تلك الحفريات، في حين أن المستعمِرين يتباهون بماضيهم وبتطورهم، وكانوا يصفون أهل البلدان العربية، ولا سيما في المشرق العربي التي استعمروها، بأنهم بلا ماض وبأنهم قادمون من أطراف الصحراء، في العراق أو بلاد الشام[28]. هذه المنهجية الاستعمارية نفسها قام العلماء الغربيون، والفرنسيون على نحو خاص، بكتابة

---

(24) Trigger.

(25) Liverani, pp. 223-243.

(26) Trigger, p. 365, and Hallo.

(27) Silberman, pp. 76-87.

(28) Liverani, pp. 223-243.

تاريخ المغرب العربي، خصوصًا في تعاملهم مع مسألة ثقافة البربر[29]. يحاول عالم الآثار الاستعماري دائمًا أن يشوّه سمعة الشعوب المستعمَرة ويعيب عليها عدم قدرتها على التطور ذاتيًا، وهي بالتالي بحاجة إلى قوى خارجية كي تساعدها في تطورها، ولا بد من دمج علم الآثار بعلم الأنثروبولوجيا.

لعل أهم تجليات أيديولوجية علم الآثار الاستعماري ظهرت، وما زالت، في فلسطين منذ منتصف القرن التاسع عشر، ولا تزال معاول الآثاريين التوراتيين تنبش في هذه البلاد بصورة لا نظير لها في العالم. وكان الهدف، بالدرجة الأولى، دينيًا في القرن التاسع عشر وحتى بداية الانتداب البريطاني الذي أنشأ دائرة الآثار الفلسطينية ليكون من أهم أهداف بريطانيا خدمة الحركة الصهيونية في تحديد ما يُزعم أنها مواقع العهد القديم، وربط الآثار والشواهد الأثرية بالعبرانيين.

كان لعالِم الدراسات السامية والآثار الأميركي وليام فوكسول ألبرايت (W. F. Albright) (1891-1971)، وهو الأب الروحي لمعظم علَماء الآثار والتوراة الأميركيين، الدور الأساس في تثبيت ما يسمّى علم الآثار التوراتية، وكان هؤلاء العلماء يرون في تأسيس الدولة العبرية تحقيقًا لرؤيا ربّانية من التوراة[30].

بعد تأسيس دولة إسرائيل، اندفع كثيرون من علماء الآثار الإسرائيليين إلى إجراء الحفريات في كثير من المواقع، مركزين على مواقع العصر الحديدي الذي يسمّونه العصر الإسرائيلي[31]، حتى لو أدّى الأمر إلى إزالة طبقات من العصور المتأخرة، خصوصًا طبقات العصور الإسلامية، بالجرافات للوصول إلى طبقات العصر الحديدي، على اعتبار أنها الطبقات الأثرية الخاصة بالعبرانيين[32]. وتحلَّل المادة الأثرية بناء على القصص التوراتي الذي يفتقد الشواهد العلمية[33].

---

(29) كامب.

(30) كيث وايتلم، اختلاق إسرائيل القديمة، ترجمة سحر الهنيدي، عالم المعرفة 249 (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1999)، وكذلك: Silberman, pp. 76-87.

(31) يوسف بار وعميحاي مزار، علم الآثار في إسرائيل: وجهة نظر إسرائيلية (القدس: المركز العربي للدراسات المعاصرة، 1994).

(32) Yahya, pp. 66-77.

(33) إسرائيل فنكلشتاين ونيل سيلبرمان، التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها: رؤية جديدة =

يدّعي معظم علماء التوراة، ومن ضمنهم علماء الآثار الإسرائيليون، أن فلسطين كانت في معظم تاريخها معبرًا للبدو ما بين مصر وسورية، ولم يكن لها في الفترة الإسلامية أي دور حضاري، وأنها كانت شبه خالية من السكان في القرن التاسع عشر، ومسرحًا للغزوات والصراعات البدوية فحسب. بالتالي، يرفض علماء الآثار الاستعماري رفضًا مطلقًا مسألة الاستمرارية الثقافية في هذه البلدان[34].

كان علماء الغرب منذ بداية تحرياتهم الأثرية في فلسطين، ذوي موقف سلبي تجاه أهل فلسطين وثقافتهم، وكانوا يعتقدون أن الفتوحات الإسلامية للعراق والشام ومصر كانت غضبًا ربّانيًا على بلاد الدين الصحيح، أي المسيحية. وكانوا يعتبرون أن غاية مجيئهم إلى البلاد المقدسة هي تشخيص العرب الذين اختارهم الرب وكلاء للخراب في الأرض المقدسة بسبب الخطايا التي ارتكبها المسيحيون. ويزعم هؤلاء أيضًا أن هذا الخراب جعل سكان فلسطين يتراجعون كثيرًا، ولم تقم لفلسطين قائمة إلى أن جاءت الحركة الصهيونية وبدأت بإنقاذ البلاد وإعمارها. وفي هذا السياق، كان مجيء علماء الآثار التوراتيين في إطار إصلاح البلاد[35]، وقد استُخدمت الآثار التي كُشفت في أنحاء الشرق القديم كافة صورًا إيضاحية للكتاب المقدس، بينما استُخدمت صور عرب فلسطين إيضاحات للحياة اليومية في الكتاب المقدس، من دون ذكر أنهم عرب أو أنهم يعيشون في هذه البلاد.

على الرغم من أن علم الآثار التوراتية يسيطر بصورة كاملة على كتابة تاريخ فلسطين القديم، فإن هناك بعض الأصوات المهمة لعلماء آثار في بريطانيا وهولندا وغيرهما، استطاع كثيرون منهم التخلص من المركزية الأوروبية ومنهجية الاستعمار والتعصب الديني، وقاموا بإنصاف حضارات العرب وتاريخهم، ونذكر منهم عالِم الآثار الهولندي هانك فرانكين (H. Franken) (1917-2005)، وعالِمة الآثار البريطانية كاثلين كنيون (K. Kenyon) (1906-1978) التي طورت منهجية الحفريات العلمية باتّباع تتابع الطبقات الأثرية

= لإسرائيل القديمة وأصول نصوصها المقدسة على ضوء اكتشافات علم الآثار، ترجمة سعد رستم (دمشق: صفحات للدراسات والنشر، 2001).

(34) El-Haj, and Shlomo Sand, *The Invention of the Jewish People* (London: Verso, 2009).

(35) Silberman, pp. 81-82.

كمراحل تاريخية، ونفت كثيرًا من فرضيات علماء الآثار التوراتيين[36]. وكانت قد حفرت في أريحا (1951-1958) وتوصلت إلى أنه لم يكن هناك أسوار في أريحا كي يهدمها يشوع بن نون كما افترضها من حفروا في أريحا قبلها من علماء الآثار التوراتية وزعموا أنه كان فيها أسوار تعود إلى نحو عام 1200 ق.م. كما أنها حفرت في القدس (1961-1967). وجاءت التحليلات العلمية الحديثة لتختلف عن المقولات التقليدية بشأن عظمة هيكل سليمان، لتقول بأن القدس كانت بلدة صغيرة غير معتبرة في أيام داود وسليمان، وأن الوصف التوراتي للمدينة خيالي، ولم يقدّم علم الآثار أي شواهد أثرية لوجود داود وسليمان، فلا نعرف شيئًا عن مملكتيهما كما صورها التوراتيون، وما يسمّى هيكل سليمان اختلقته الثقافة الغربية[37].

علم الآثار الإسرائيلي هو علم آثار استعماري بامتياز، وإن حاول بعض العلماء وضعه ضمن هذا العلم الأخير بخجل[38]. وما زالت إسرائيل تعتمد في تثبيت شرعيتها على الرواية التوراتية وما أُقحم من الشواهد الأثرية لكي تكون عبرانية؛ فقد أظهر علم الآثار بطلانها، وتزعَّم إثبات ذلك العلماء الإسرائيليون أنفسهم[39]. وكان قد شُكّك في الرواية التوراتية من حيث إنها ليست إلهية منذ زمن بعيد، وإن كتبَتها هم مجموعة من أتباع الديانة اليهودية عبر مئات الأعوام. وكان أول من قال بهذه النظرية المستشرق الألماني يوليوس فلهاوزن (J. Wellhausen) (1844-1918) في القرن التاسع عشر[40]. أما الشواهد الأثرية والحوادث التوراتية، فشكّك فيها كثيرون من علماء التوراة والآثار التوراتية، ومنهم الآن علماء آثار إسرائيليون، مثل إسرائيل فنكلشتاين والأميركي نيل أشير سيلبرمان (N. A. Silberman)[41].

---

(36) Kathleen Kenyon, *The Bible and Recent Archaeology* (London: British Museum Publications Ltd., 1978).

(37) فنكلشتاين وسيلبرمان.

(38) Trigger, p. 365.

(39) فنكلشتاين وسيلبرمان.

(40) انظر: Thomas Thompson, *The Mythic Past: Biblical Archaeology and the Myth of Israel* (London: Jonathan Cape, 1999).

(41) فنكلشتاين وسيلبرمان.

لعل الرواية الصهيونية والتوراتية الغربية في ما يخص تاريخ فلسطين القديم ومسألة البحث عن الأساطير المؤسسة لما يسمّى شعب إسرائيل قديمًا، أصبحت الآن - بشكل عام - عرضة للنقد بصورة كبيرة، وكذلك الأمر في ما يخص الأساطير المؤسِّسة لدولة إسرائيل؛ فهي أصبحت موضع تشكيك كثيرين من العلماء الأوروبيين[42]، في حين أن مسألة الرواية الإسرائيلية اليوم في ما يخص الوجود التاريخي للشعب الفلسطيني، وهي تعتمد على السرد التوراتي، فهي لتبرير الاستعمار الاستيطاني في فلسطين باستخدام اللقى الأثرية بامتياز[43].

بعد مرور أكثر من مئة عام من البحث التوراتي التاريخي والأثري، والإجحاف بحق التاريخ الفلسطيني القديم، تظهر فجأة أصوات من بين علماء التوراة في الغرب تشكك برواية التوراة وتتحدث عن اختلاق ما يسمّى الشعب الإسرائيلي، ومن أصحاب تلك الأصوات كيث وايتلم (K. Whitelam)[44] وتوماس تومبسون (Th. Thompson)[45]، ولحق بهم بعض علماء الآثار الإسرائيليين الذين يشككون في إمكان استخدام الشواهد الأثرية براهين على حوادث التوراة، على الرغم من احتفاظهم بصهيونيتهم، ومنهم فنكلشتاين[46]. وقد لحق بهذا الركب بعض المؤرخين الإسرائيليين العاملين في التاريخ الحديث، والذين ينفون وجود ما يسمّى الشعب الإسرائيلي، مثل شلومو ساند[47].

على الرغم من التحفظات الكثيرة تجاه علم الآثار الاستعماري، ومنه علم الآثار الإسرائيلي[48]، فلا بد من التعامل معه، ومن الإشارة إلى أن ما يسمّى علم الآثار التوراتية أرسى مؤسساته العلمية عالميًا منذ أكثر من مئة عام. ويجدر القول إن هذا العلم اتخذ مسارات كثيرة، منها المسارات النقدية في ما يخص علم الآثار

(42) Giovanni Garbini, *Myth and History in the Bible*, Journal for the Study of the Old Testament, Supplement 362 (London: Sheffield Academic Press, 2003), and Mario Liverani, *Israel's History and the History of Israel* (London: Equinox Publishing, 2007).

(43) El-Haj, and Sand.

(44) وايتلم.

(45) Thompson.

(46) فنكلشتاين وسيلبرمان.

(47) Sand.

(48) يوسف ومزار.

الفلسطيني، كما يسمّيه الناقدون، ضد الاتجاه التوراتي المتعصب الذي ما زال يسيطر على هذا النشاط الأثري. وهنا لا يجوز التعميم، لكن يجب التعامل مع هذه البحوث بحذر شديد لما تحتوي عليه من تحليلات توراتية متعصبة ونَفَس استعماري في تحليل المادة الأثرية. ويبقى السؤال: ماذا كتب العرب أنفسهم عن تاريخهم؟

ثالثًا: عن كتابة تاريخ الحضارات القديمة في البلدان العربية في زمن الدولة الوطنية

1- دور المؤرخين العرب ومنهجيتهم في كتابة حضاراتهم

- علم الآثار في زمن الدولة الوطنية

العرب هم من أقل الشعوب مساهمة في كتابة تاريخهم، ولعل مساهمة مؤرخيهم وعلماء آثارهم في كتابة تاريخهم زمن الاستعمار يسيرة، ولا مجال لمناقشتها هنا. لكن تجدر الإشارة إلى أن كثيرًا من تقارير نتائج الحفريات في العالم العربي، العربية منها أو الأجنبية، تقارير وصفية وليست تحليلية.

هناك مجموعة بسيطة من المؤرخين العرب وعلماء الآثار ممن التزموا في منهجية علم التاريخ والآثار بالمعايير العلمية الحديثة، ونذكر منهم، على سبيل المثال لا الحصر، عالِم الآثار المصرية وآثار اليمن أحمد فخري (1905-1973)، والعالِم العراقي طه باقر (1912-1984) والمؤرخ العراقي جواد علي (1907-1987). ولم يستطع المؤرخون العرب المحدثون تكوين مدرسة ذات منهجية واضحة لكتابة التاريخ العربي القديم أو تاريخ الحضارات في بلادهم. وهناك معضلة حقيقية عند العرب في التعامل مع ماضيهم الحضاري، خصوصًا عصور ما قبل الإسلام؛ فهو من ناحية يمثّل العصر الجاهلي، وهناك من ناحية أخرى الصورة الضبابية لهذه الحضارات في ذهنية الإنسان العربي.

لا تعادل مساهمة العرب في كتابة تاريخهم القديم في أحسن الأحوال 10 في المئة، ولذا نجد أن تاريخ الحضارات التي نشأت في بلاد العرب مكتوب بأقلام

أجنبية وبمنهجية أوروبية. وتبقى مسألة مساهمة علماء العرب في كتابة تاريخ الدولة القُطرية في العصور القديمة مسألة نسبية. وهناك كثير من المساهمات الجيدة، خصوصًا في مصر والعراق واليمن والسعودية. والمعضلة هنا هي اتخاذ الحدود السياسية الحديثة وإسقاطها على حدود وحدات حضارية أو ثقافية في العصور القديمة.

أمّا مسألة كتابة التاريخ العام للعرب أو تاريخ المنطقة العربية، ففيها كثير من الإشكالات؛ إذ لا يوجد كتاب جامع أو موسوعة شاملة لحضارات المنطقة العربية أو تاريخ العرب قبل الإسلام. وتجدر الإشارة إلى جواد علي وكتابه **المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام** الذي كُتب في خمسينيات القرن الماضي وأصبح الآن بحاجة إلى تصحيحات كثيرة بحكم الاكتشافات الأثرية التي غيّرت معرفتنا عن تاريخ العرب، ولا سيما مسألة الكرونولوجيا. لكن كثيرين من المؤرخين والكتاب العرب يعتمدون بشكل كبير على هذا الكتاب، ونجد كثيرًا من الكتب التي يمكن وصفها بأنها تلخيص جيد أو تلخيص سيئ من جواد علي. أما الجزء الأول من الكتاب المرجع في تاريخ الأمة العربية، **الجذور والبدايات**[49]، فتظهر فيه النزعة القُطرية والقوموية، ويظهر في بعض الفصول بوضوح عدم الالتزام بالمعايير العلمية الحديثة.

2- المنهجية الغربية والاستشراقية في كتابة تاريخ الحضارات القديمة في البلدان العربية ومرحلة الاستعمار الجديد

- علم الآثار الاستعماري الحديث

في عصر الاستقلال وظهور الدولة الوطنية، استُبدلت السيطرة الجغرافية، بوصفها إحدى الأدوات الاستعمارية، على البلدان العربية، بالسيطرة على الموارد والسوق والثقافة. وقد أصبحت الأمور أكثر تعقيدًا بعد استقلال هذه الدول عن الاستعمار؛ إذ طوّرت البلدان الاستعمارية أدوات حديثة للاستمرار بمنهاجية علم التاريخ والآثار الاستعماري، من أجل التحكم بثقافة هذه البلدان ووضعها في

---

(49) عبد الرحمن الأنصاري ويوسف عبدالله (محرّران)، الكتاب المرجع في تاريخ الأمة العربية، 7 ج (تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 2005)، ج 1: الجذور والبدايات.

قوالب خاصة لخدمة أغراضها الاستعمارية، ومنها تطوير كوادر محلية وتدريبها كي تمثلها ولكي تستمر في تطبيق منهاجية علم الآثار الاستعماري. ويتمسك علم الآثار الاستعماري الحديث بالمقولة الاستعمارية القديمة نفسها، وهي أن سكان هذه البلاد ليس لهم علاقة بأهل الحضارات القديمة في بلادهم، ويذكّر أهل البلاد دائمًا بعجزهم، وليس بعدم قدرتهم على حكم أنفسهم بأنفسهم فحسب، وبأن العالم الغربي هو الأقدر على الحفاظ على تراثهم وكتابة تاريخهم.

ذكرنا أن معظم ما كُتب عن التاريخ العربي القديم وحضارات بلادهم كان بأقلام غربية، منها ما هو مؤدلج ومنها ما هو منصف تجاه ذلك التاريخ، ولا يجوز الخلط بينهما[50]. وتجدر الإشارة إلى المدرسة الاستشراقية التحريفية[51] التي تضع ظهور الإسلام في نهاية العصر الأموي، ومن ممثليها باتريشيا كرون (P. Crone) (1945-2015)[52]. وتظهر التبعية للمنهجية الغربية عند بعض المؤرخين العرب، ومنهم سليمان البشير[53] الذي يتّبع الاستشراقية التحريفية في ما يخص التاريخ الإسلامي. وفي الوقت نفسه، يبقى معظم ما كتبه علماء العرب المحدثين عن نشأة الإسلام مفتقرًا إلى الجدية العلمية، ولكن يجب أن يشار إلى دراسات عزيز العظمة الرصينة عن أصول الإسلام ونشأته[54].

اعتمدت المدرسة الماركسية في كثير من تحليلاتها على كتاب فريدريش إنغلز **أصل العائلة**[55]، وتمحور كثير من الدراسات حول ما يسمّى نمط

---

(50) يوهان فوك، **تاريخ حركة الاستشراق: الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين** (بيروت: دار المدار الإسلامي، 2001).

(51) رضوان السيد، **المستشرقون الألمان: النشوء والتأثير والمصائر** (بيروت: دار المدار الإسلامي، 2007).

(52) باتريشيا كرونه، **تجارة مكة وظهور الإسلام**، ترجمة آمال محمد الروبي (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2005).

(53) سليمان البشير، **مقدمة في التاريخ الآخر: نحو قراءة جديدة للرواية الإسلامية** (القدس: [د. ن.]، 1984، وبيروت: دار الجمل، 2013).

(54) Aziz Azmeh, *The Emergence of Islam in Late Antiquity: Allah and His People* (Cambridge: Cambridge University Press, 2014).

(55) فريدرك إنغلس، **أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة** (موسكو: دار التقدم [صدر بالألمانية سنة 1884]، وللترجمة العربية طبعات عدة).

الإنتاج الآسيوي في دراسة مجتمعات الشرق القديم. وبعد الحرب العالمية الثانية، ظهرت مدرسة سانت بطرسبرغ، وكان لها أثر كبير في الدراسات المعنية بلغات الشرق القديم ومجتمعاته، ومن أشهر أعلامها إيغور دياكونوف (1915-1999) الذي أرسى أسس دراسة تاريخ الشرق القديم، بحسب النظرية الماركسية، في دراسات عدة[56]. وبقيت تأثيرات المدرسة الماركسية محصورة في دراسة حضارات الشرق القديم بالدرجة الأولى، وفي الإطار التاريخي لا الإطار الميداني الآثاري[57]. وكان للمدرسة الماركسية الألمانية الشرقية دور مهم في الدراسات التاريخية للشرق القديم، ومن روادها هورست كلينغل[58].

رابعًا: نحو منهجية علمية لكتابة تاريخ الحضارات القديمة في البلدان العربية

إن الباحث العربي في حضارات الشرق القديم هو، بشكل عام، أسير المنهجية الغربية ونتائج العلم الغربي، ميدانيًا أكان ذلك أم نظريًا، باعتبار أن معظم ما هو منشور عن هذه الحضارات مكتوب باللغات الأجنبية[59]. وأكثر ما تعانيه منهجية كثير من الباحثين العرب هو عدم القدرة على التعامل مع المادة التاريخية، أي مع المصادر الأصلية، وقراءة نصوصها بلغتها الأصلية كالأكادية أو السبئية، إضافة إلى نمط البحث العلمي السائد في البلدان العربية والمفتقد الروح النقدية في البحث في كثير من الأحيان، إضافة إلى انتشار الكتابات التاريخية ذات الطابع الشعبي، وهي في كثير من الأحيان أقرب إلى الشعوذة منها إلى العلم.

أول ما يواجهه المؤرخ العربي هو مشكلة التعامل مع المصطلح التاريخي عند العرب؛ حيث إن معظم ما يستخدمه العرب من مصطلحات تاريخية وآثارية

---

(56) Igor M. Diakonoff, *Early Antiquity* (Ann Arbor: University of Michigan Library, 1991), and Igor M. Diakonoff, *The Paths of History* (Cambridge: Cambridge University Press, 1999).

(57) أ. كلوتشكوف (وآخرون)، الجديد حول الشرق القديم (موسكو: دار التقدم، 1988).

(58) Horst Klengel, *Syria, 3000 to 300 B.C.: A Handbook of Political History* (Berlin: Akademie Verlag, 1992).

(59) Potts.

وأنثروبولوجية هو ترجمة استعمارية للمصطلحات الغربية، كالعصر الحجري والعصر النحاسي والعصر الحديدي ...إلخ. وتضاف إلى ذلك مصطلحات جغرافية، مثل الشرق الأدنى القديم ومصر الفرعونية وغيرهما.

كما أن ليس هناك اتفاق على مصطلح عربي موحد للتعبير عن الحوادث التاريخية ومسميات شعوب المنطقة؛ فمثلًا، ينتمي العرب إلى مجموعة من الشعوب يُطلَق عليها اسم الشعوب الحامية - السامية، وتُرِك حديثًا هذا المصطلح لحساب مصطلح الشعوب - الأفروآسيوية، وهو مصطلح بُني على أساس لغوي للناطقين باللغات الحامية - السامية أو الأفرو - آسيوية[60]. وكثيرون من الكتّاب والمؤرخين العرب يعتبرون أن هذه اللغات وهذه الشعوب عربية. وهنا لا بد من الاتفاق على تحديد من هو العربي، وهل يجوز إسقاط مصطلح عرب على شعوب عاشت قبل عشرة آلاف عام في المنطقة العربية. ويضاف إلى ذلك عدم وجود اتفاق على مصطلح عربي مشترك في علم الآثار ولا على التعبير عن الحقب الزمنية. وبالتالي، لا يمكن كتابة تاريخ الحضارات القديمة في البلدان العربية من دون استخدام المادة العلمية التي كتبها علماء عرب وغير عرب من غربيين وروس ويابانيين، وعلى المؤرخ الحاذق أن يتعامل مع هذه المادة التاريخية في زمن العولمة.

لا بد من طرح بعض الإشكالات الخاصة بمنهجية كتابة تاريخ الحضارات في المنطقة العربية، وهي إشكالات يمكن تلخيصها كالتالي:

1 - مسألة فهم الماضي ومنهجية علم التاريخ

نسأل هنا: كيف نستطيع أن نفهم الماضي؟ وكيف لنا أن نضع تاريخ الحضارات التي ظهرت في البلدان العربية في إطارها الجغرافي والزمني؟ وكيف كان تفاعل الإنسان مع بيئته؟ لا مجال هنا لمناقشة علم التاريخ ونشأته ومناهجه النظرية والعملية، خصوصًا كتابة التاريخ القديم، لكن هذه مجرد إشارات عامة إلى مسألة كتابة التاريخ عند بعض المؤرخين[61]. وهناك كثير من الدراسات

---

(60) كامب.

(61) Andrew Feldherr & Grant Hardy (eds.), *The Oxford History of Historical Writing* (Oxford: =

الخاصة بمنهجية كتابة تاريخ الحضارات القديمة، ومنها بلاد ما بين النهرين[62] ومصر[63]، وهي خارج إطار المناقشة في هذا المقام.

من المعروف أن مهمة علم التاريخ هو القيام بتقديم صورة تاريخية حقيقية وكاملة وشاملة إلى حد ما، لحادث ما، في حضارة معينة، مع الأخذ في الحسبان أن هذه الصورة التاريخية غير ثابتة، وأنها قابلة للتغيير في كل زمان ومكان بناء على الاكتشافات العلمية المستمرة. وفي ما يلي بعض المداخل العلمية التي تساعد الباحث في حضارات الشرق القديم في صوغ الصورة التاريخية لهذه الحضارات[64]:

- محاولة فهم الحادث التاريخي

لفهم الحادث التاريخي، لا بد للمؤرخ من متطلبات أساسية من العلوم المساعدة لعلوم التاريخ والمتعلقة بالزمان والمكان ودور الإنسان، والتي يمكن تقسيمها إلى مجموعتين:

(1) المجموعة الأولى تتكوّن من:

(أ) الجغرافيا التاريخية، حيث لا بد من دراسة تأثير الفضاء الطبيعي في حياة الإنسان ودور الإنسان في خلق الحادث التاريخي كطرف أساس في المكان وتأثيراته في الطبيعة وتكيفها لمتطلبات حياته، ودراسة أنماط الاستقرار البشري وأسماء الأماكن، وتضاف إلى ذلك الجغرافيا السياسية ...إلخ.

Oxford University Press, 2011); Kurt A. Raaflaub (ed.), *Thinking, Recording, and Writing History in the Ancient World: The Ancient World: Comparative Histories* (Malden, MA; Oxford; Chichester: Wiley-Blackwell, 2014), and Jörn Rüsen, *Historik - Theorie der Geschichtswissenschaft* (Köln: Böhlau, 2013). =

(62) Mario Liverani, «Later Mesopotamia,» in: Andrew Feldherr & Grant Hardy (eds.), *The Oxford History of Historical Writing* (Oxford: Oxford University Press, 2011), pp. 29-52; Piotr Michalowski, «Early Mesopotamia,» in: Andrew Feldherr & Grant Hardy (eds.), *The Oxford History of Historical Writing* (Oxford: Oxford University Press, 2011), pp. 5-23, and Piotr Michalowski, «The Presence of the Past in Early Mesopotamian Writings,» in: Kurt A. Raaflaub (ed.), *Thinking, Recording, and Writing History in the Ancient World: The Ancient World: Comparative Histories* (Malden, MA; Oxford; Chichester: Wiley-Blackwell, 2014), pp. 144-168.

(63) John Baines, «Ancient Egypt,» in: Andrew Feldherr & Grant Hardy (eds.), *The Oxford History of Historical Writing* (Oxford: Oxford University Press, 2011), pp. 53-75.

(64) Hallo, and Potts.

(ب) الكرونولوجيا، حيث يعالَج الحادث التاريخي في زمان حدوثه والترتيب الزمني للحضارات والثقافات المختلفة. وهناك مشكلة في استخدام المصطلحات والترتيب الزمني، وما من اتفاق على مصطلح عربي موحد للتعبير عن الحوادث التاريخية ومسميات شعوب المنطقة. لكن هناك أنظمة خاصة طورها علم الآثار لتأريخ المواقع الأثرية بناء على تسلسل الطبقات الأثرية، وهي تعتمد على قراءة تصنيف القطع الفخارية، وتستخدم طرق التأريخ المطلق، منها كربون 14 والـتأريخ بالأشعة الحرارية. ومنذ بداية الألف الثالث ق. م. ظهرت أنظمة للتأريخ في الوثائق المكتوبة في الشرق القديم[65]، ومنها أنظمة التأريخ في جنوب الجزيرة العربية من الألف الأول حتى ظهور الإسلام[66].

(ج) علم الشعوب والأنساب؛ فمن أهم موضوعات دراسة التاريخ دراسة المجموعات الإثنية في الشرق القديم، ودراسة القبائل والعشائر وبيئتها وتحركاتها، وهي قبائل وعشائر ترد أسماؤها في النقوش العربية الجنوبية والشمالية[67]؛ فمثلًا لدينا نقوش عربية شمالية تذكر كثيرًا سلسلة الأنساب، وفي نقش صفائي من القرن الثاني الميلادي يذكر صاحب النقش أجداده رجوعًا إلى الجد الخامس عشر[68]، وهذه من أهم الدراسات الملحة في دراسة تاريخ الجزيرة العربية.

(2) المجموعة الثانية تتمثّل في المصادر التاريخية بفروعها المختلفة، ومنها:

(أ) المصادر الكتابية: منذ نهاية الألف الرابع ق. م. عُثر على مئات الآلاف من النصوص المسمارية المكتوبة باللغتين السومرية والأكادية (البابلية الأشورية)،

---

(65) Mark E. Cohen, *The Cultic Calendars of the Ancient Near East* (Bethesda: CDL Press, 1993).

(66) Walter W. Müller, *Sabäische Inschriften nach Ären datiert: Bibliographie, Texte und Glossar*, Veröffentlichungen der Orientalischen Kommission/Akademie der Wissenschaften und der Literatur, Mainz 53 (Wiesbaden: Harrassowitz Verlag, 2010), and Mohammed Maraqten, *Altsüdarabische Texte auf Holzstäbchen Epigraphische und kulturhistorische Untersuchungen*, Beiruter Texte und Studien 103 (Beirut: Orient-Institut; Würzburg: Ergon, 2014).

(67) محمود الروسان، القبائل الصفوية والثمودية (الرياض: جامعة الملك سعود، 1992)، وكذلك: Gerald Lankester Harding, *An Index and Concordance of Pre-Islamic Arabian Names and Inscriptions*, Near and Middle East Series 8 (Toronto: University of Toronto Press, 1971).

(68) M. C. A. Macdonald, M. Mu'azzin & L. Nehme, «Les Inscriptions safaïtiques de Syrie, cent quarante ans après leur découverte,» *Comptes rendus des séances de l'académie des Inscriptions et Belles-Lettres*, no. 140 (1996), p. 453.

وكذلك على عشرات الآلاف من النصوص المكتوبة بالمصرية القديمة وآلاف النصوص الفينيقية والآرامية ...إلخ في الشرق القديم. ويضاف إلى ذلك آلاف النصوص العربية الجنوبية (السبئية والقتبانية والمعينية)[69]، والنقوش العربية الشمالية القديمة، كالصفائية والثمودية والدادانية - اللحيانية وغيرها[70].

(ب) المصادر الأثرية: لا بد للباحث في حضارات الشرق القديم من أن يعتمد على نتائج التحريات والحفريات التي أجريت في مئات المواقع الأثرية في أنحاء الشرق القديم[71]. وعليه أن يتمتع بالقدرة على التعامل مع التقارير الخاصة التي نشرتها البعثات الأثرية منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى الآن، والتعامل معها بروح نقدية، مع الأخذ في الحسبان منهجية التقنيات التي طورها علم الآثار. وتجدر الإشارة إلى أن كثيرًا من هذه التقارير وصفية أكثر منها تحليلية للمواقع وللاكتشافات الأثرية.

2- مشكلة المعرفة التاريخية

أهم ما يجب أن يتسلح به المؤرخ هو معرفته الوثائق التاريخية، أي المصادر الأصلية بأقلام أصحابها والقدرة على التعامل معها؛ فمن أراد كتابة تاريخ بابل، عليه أن يقرأ النصوص البابلية الأصلية باللغة الأكادية وباللهجتين البابلية والأشورية، ومن أراد كتابة تاريخ أوغاريت، لا بد له من معرفة اللغة الأوغاريتية. وكذلك من أراد كتابة تاريخ الدولة السبئية، عليه قراءة النقوش السبئية ...إلخ. وقد كانت الحضارات التي عاشت في بلاد العرب حضارات كتابة لا يمكن من دونها كتابة تاريخ المنطقة. ومعرفة هذه اللغات محدودة عند المؤرخين العرب، ولا بد للمؤرخ من الإلمام بنتائج علم الآثار وبالاكتشافات الأثرية والأنثروبولوجية وغيرها.

---

(69) محمد بافقيه [وآخرون]، مختارات من النقوش اليمنية القديمة (تونس: المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، 1985)، وانظر مدونة جامعة بيزا لهذه النقوش على الشبكة العنكبوتية، في: Corpus of South Arabian Inscriptions (CSAI), http://dasi.humnet.unipi.it/.

(70) انظر مدونة جامعة أكسفورد لهذه النقوش على الشبكة العنكبوتية، في: *The Online Corpus of the Inscriptions of Ancient North Arabia*, (OCIANA) http://krc.orient.ox.ac.uk/ociana/index.php.

(71) Potts.

3 – المنهجية ذات المعايير العلمية

كي يستطيع المؤرخ الجاد والباحث في الحضارات القديمة تطبيق هذه الشروط المذكورة أعلاه، لا بد له من أن يتسلح بأدوات تساعده على القيام بمهماته، كالأنثروبولوجيا وعلم الثقافة واللسانيات ...إلخ. تضاف إلى ذلك المعرفة التاريخية العامة والمنهجية التي تتضمن النظرية التاريخية، وكذلك الجوانب التطبيقية. ولا تكفي المنهجية الوصفية، بل لا بد من استخدام المنهج التحليلي بما يتضمنه من استقراء للمادة التاريخية، والمنهج المقارن، ونظريات المعرفة الحديثة[72].

إن عمل المؤرخ الجاد يحتاج إلى ثلاثة شروط: **أولها** القدرة الذاتية على طرح الأسئلة عن الماضي، وعدم الأخذ بالحوادث التاريخية بوصفها قوالب جامدة، بل المشاركة الفعلية في إخراج الصورة التاريخية للحادث؛ **ثانيها** المهارة الطبيعية، والخبرة، والقدرة الذاتية على تحسس المصادر التاريخية وفهمها واستقرائها بصورة نقدية، للإجابة عن التساؤلات المطروحة؛ **ثالثها** القدرة على التعامل مع المصادر التاريخية بروح نقدية عالية وما يمكن أن تحتوي عليه من نواقص أو أخطاء، والقدرة على التمييز بين مستوياتها.

خامسًا: دراسة تاريخ العرب قبل الإسلام أنموذجًا

لعل في مهمة الباحث في تاريخ العرب قبل الإسلام كثيرًا من التعقيد؛ إذ إن على الباحث، قبل كل شيء، أن يفحص المصادر الأصلية، وأن يستخدم ما توصلت إليه العلوم الإنسانية عالميًا من منهجية البحث العلمي، وأن ينتقي المصطلحات التاريخية بحذر. وعليه أيضًا أن يقوم بمراجعة نقدية للمدرسة العربية، وكذلك الغربية، في كتابة تاريخ العرب قبل الإسلام. كما أن عليه أن يعتمد، إضافة إلى المصادر المتعددة من يونانية ورومانية وغيرها، على استقراء المادة التاريخية التي تحتوي عليها نقوش الجزيرة، وهي بالآلاف، ولا بد له من أن يستخدمها مصدرًا أساسًا لدراسة تاريخ العرب قبل الإسلام، آخذًا في الحسبان المكان والزمان

(72) Rüsen, pp. 221-251.

ودور الإنسان. ولا بد له أيضًا من أن يستخدم المنهجية البينية في التعامل مع هذا التاريخ، وألّا يغفل المدركات الجماعية للتاريخ العربي ومسألة الذاكرة والهوية. وينبغي له أن يحاول رسم هيكلية لحركة التاريخ العربي وإزاحة اللثام عن واقع أن تاريخ العرب قبل السلام كان «جاهلية»، وأن هذا المصطلح خاص بمسألة الجهل بالدين الحنيف، ولا بد من محاولة رسم صورة لأنماط الاستقرار البشري في الجزيرة حتى ظهور الإسلام، مع دراسة علاقة الإنسان بالبيئة. وهناك مداخل عدة لدراسة هذا التاريخ، منها عرض مسألة التطور الحضري في الجزيرة، ودراسة البنية الاقتصادية - الاجتماعية، وعلاقات الجزيرة بباقي أطراف الشرق القديم والحياة الفكرية عند العرب، ومنها الشعر؛ إذ عُثر حديثًا في اليمن، مثلًا، على أكثر من 15 نصًا أدبيًا بالسبئية، منها قصائد شعرية، وقصائد أخرى في شمال الجزيرة، ولا انتحال للشعر الجاهلي[73].

إذا كانت الوثيقة المكتوبة أداة المؤرخ لكتابة التاريخ، فإن لدينا آلافًا من الوثائق الكتابية من الجزيرة العربية[74]، كانت قد كُتبت على الألواح الحجرية والصخور والبرونز وعُسُب النخيل، وباللغات العربية الشمالية المبكرة (النقوش اللحيانية والثمودية والصفوية) والعربية الجنوبية (السبئية والمعينية والحضرمية والقتبانية). ولدينا كذلك نقوش باللغة الآرامية التي كتب بها العرب الأنباط وعرب تدمر ومملكة الحضر. ويعود تاريخ كتابات الجزيرة إلى بدايات الألف الأولى قبل الميلاد، وصولًا حتى بدايات الإسلام. ولعل الاكتشافات الأثرية والنقشية في العقود الثلاثة الأخيرة غيرت الصورة التاريخية للجزيرة العربية تمامًا[75].

نتوقف هنا بعض الشيء لنعرض، بإيجاز، بعض المداخل الخاصة بدراسة تاريخ العرب قبل الإسلام أنموذجًا لدراسة حضارات الشرق القديم، خصوصًا أن تاريخ العرب قبل الإسلام وحضارات الجزيرة العربية لم يهتم بها العلماء كاهتمامهم ببلاد ما بين النهرين ومصر. ونعرض هنا لمحورين، «أصول

(73) Maraqten.

(74) بافقيه [وآخرون].

(75) محمد بافقيه، توحيد اليمن القديم: الصراع بين سبأ وحمير وحضرموت من القرن الأول إلى القرن الثالث الميلادي، ترجمة علي محمد زيد (صنعاء: المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، 2007).

المصطلحين تأريخ وأسطورة» و«الجذور التاريخية للمصطلح عرب»، كمدخل للتعامل مع تاريخ العرب القديم.

- عن أصول المصطلحين تأريخ وأسطورة

أ- تأريخ

يتفق كثيرون من علماء الدراسات العربية الجنوبية على أن أصل كلمة تأريخ أو تاريخ، كمصطلح في العربية، يعود إلى لغات جنوب الجزيرة العربية، وجرى، على ما يبدو، اعتماد هذا المصطلح من اللغة السبئية؛ فكلمة تأريخ مشتقة من الجذر السامي المشترك «و ر خ»، وهو في لغات بلاد الشام القديمة «ي ر ح». ويرد الاسم ورخ/ يرح بمعنى «شهر» وكاسم لإله سامي قديم اسمه ورخ أو يرح، وفي الأوغاريتية يرخ، والأكادية warḫum[76]. ويتحول هذا الجذر في اللغة العربية إلى أرخ[77]. وترد الكلمة «ورخ» بمعنى «شهر وتأريخ وحوليات» عشرات المرات في النقوش العربية الجنوبية، ولا سيّما السبئية، وفي الصيغة التأريخية في النقوش، مثلًا: ب ورخ ذ ع ث ت ر «في شهر ذو عثتر»[78]. وترسخ استخدام هذا المصطلح في الفترة الإسلامية المبكرة[79].

ب- أسطورة

تشير الشواهد والمعطيات التي بين يدينا إلى أن هذه الكلمة ذات أصول سامية قديمة، وأنها ليست ذات أصول يونانية ولا مشتقة من كلمة ἱστορία اليونانية

(76) Jeremy Black, Andrew George and Nicholas Postgate (ed.), *A Concise Dictionary of Akkadian* (Wiesbaden: Harrassowitz, 2000), p. 434.

(77) المعجم السبئي، أ.ف.ل. بيستون؛ ولتر مولر؛ محمود الغول وجاك ريكمانز، (بالإنكليزية، والفرنسية والعربية) (بيروت: مكتبة لبنان/ لوفان الجديدة: دار نشريات بيترز، 1982)، ص 162، وكذلك: Ibrahim Al-Selwi, *Jemenitische Wörter in den Werken von al-Hamdānī und Našwān und ihre Parallelen in den semitischen Sprachen*, Marburger Studien zur Afrika - und Asienkunde, Serie B, Bd. 10 (Berlin: Verlag von Dietrich Reimer, 1987), p. 35.

(78) Müller, and Maraqten, p. 70.

(79) وجيه كوثراني، تأريخ التاريخ: اتجاهات - مدارس - منهاهج (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013)، ص 28-37.

التي يبدو، وقد اشتُق منها علم التاريخ في اللغات الأوروبية، أن ليس لها أي علاقة بكلمة أسطورة العربية. وإذا كانت الكلمة اليونانية ذات أصول حميرية، كما اقترح وجيه كوثراني[80]، تبقى هذه الفرضية مجرد اجتهاد لعدم توافر الشواهد الأكيدة على ذلك. أما إقحام كلمة أسطورة الواردة في القرآن الكريم ووضعها على أنها ذات أصول يونانية[81]، فأمر ليس عليه الشواهد، ولا حاجة إلى استعارة هذه الكلمة من اليونانية، إذ كانت تُستخدم في كتابات الجزيرة العربية، وبالذات العربية الجنوبية، منذ بداية الألف الأول قبل الميلاد، وهي مشتقة من الجذر السامي المشترك سطر/ شطر بمعنى «الكتابة والنقش في الحجر»، وكثيرًا ما ترد كلمة أسطر العربية الجنوبية بمعنى «تقرير، وثيقة، كتابة»[82].

ج- الجذور التاريخية للمصطلح عرب

لسنا هنا في صدد كتابة التاريخ العربي قبل الإسلام، وما يهمنا هنا هو عرض بعض الشواهد التي تذكر العرب كمجموعة إثنية في المصادر المكتوبة، ومحاولة فهم هذا المصطلح في سياقه التاريخي ودلالته اللغوية، والفرضيات التي تدور حول ذلك[83].

(1) شواهد استخدام المصطلح «عرب» في المصادر التاريخية في الشرق القديم: من هم الذين كانوا يسمّون عربًا قبل الإسلام؟ وأين كانت أماكن وجودهم؟ المصادر القديمة التي بين أيدينا لا تعطينا معلومات صريحة عن مصطلح «عرب»؛ فهو مفهوم عام استُخدم للإشارة إلى عدد كبير من الأفراد والشعوب والقبائل المختلفة ذات الأنماط الحياتية المختلفة من البدو والحضر، وكانت في الجزيرة العربية والبلدان المحيطة. وقد استخدمه بالدرجة الأولى جيران العرب للإشارة

---

(80) المرجع نفسه، ص 42.

(81) Arthur Jeffery, *The Foreign Vocabulary of the Qur'ān*, Gackwad's Oriental Series 79 (Baroda: [n. pb.], 1938), pp. 56 and 169f.

(82) Al-Selwi, p. 109f.

(83) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 10 ج، ط 2 (بيروت: دار العلم للملايين، 1976)، والأنصاري وعبد الله، وكذلك: Jan Retsö, *The Arabs in Antiquity: Their History from the Assyrians to the Umayyads* (London: Routledge Curzon, 2003).

إليهم. وهناك عدد من الباحثين ممن اهتموا بدراسة المفهوم «عرب»[84]، وهذه إشارة لبعض هذه الشواهد.

يرد المصطلح «عرب» أول مرة في حوليات الملك الأشوري شلمانصر الثالث (858-823 ق. م.) في عام 853 ق. م.، حيث يُذكر جنديبو، الحاكم العربي الذي شارك في تحالف من بلاد الشام في معركة قرقر ضد الأشوريين على رأس ألف من الفرسان الجمّالة، الذين كانوا يمتطون جمالهم في تلك المعركة. وهذه أول إشارة إلى مجموعة إثنية بعينها تسكن غرب الفرات ويشار إليها بـ«عرب» وتظهر في المصادر الأشورية والبابلية عادة بـ lúArbāya[85]، ومنذ هذه الفترة يستمر ظهور الاسم Arabu, Arbu, Aribi في الكتابات المسمارية، كإشارة إلى مجموعة واحدة أو مجموعات بشرية عدة تقطن في وسط الجزيرة العربية وبادية الشام وتخوم بلاد ما بين النهرين والمناطق الداخلية لبلاد الشام. ومصطلح «أريبي» كان يُستخدم لا للإشارة إلى مجموعة إثنية بعينها تسمى «أريبي» فحسب، بل كتسمية لشعوب عربية أخرى أيضًا، ومنها قيدر وثمود وإيديبائيلو وغيرها[86]، ما يدل على أن هذا المصطلح كان يُطلَق على قبائل العرب وشعوبها كافة. وإضافة إلى الرقم [الكتابة] الأشورية، يرد هذا المصطلح في الرقم البابلية المتأخرة[87]. وكثيرًا ما يرد ذكر العرب على أنهم بدو ومن سكان الصحراء في العهد القديم من الكتاب المقدس، ويشار إلى أنهم يسكنون

(84) Jan Retsö, «'Arab,» in: Kees Versteegh (ed.), *Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics*, V vols. (Leiden: Brill, 2006), pp. 126-133; Felice Israel, «Les Premières attestations des Arabes,» *Topoi*, no. 14 (2006), pp. 19-40, and M. C. A. Macdonald, «Arabians, Arabias, and the Greeks: Contact and Perceptions,» in: M. C. A. Macdonald, *Literacy and Identity in Pre-Islamic Arabia*, Variorum Collected Studies Series (London: Ashgate, 2009), pp. 277-332.

(85) Israel Eph'al, *The Ancient Arabs: Nomads on the Borders of the Fertile Crescent, 9th-5th Centuries B. C.* (Jerusalem/Leiden: Magnes/Brill, 1982), pp. 21-59; Manfred Krebernik, «Von Gindibu bis Muḥammad: Stand, Probleme und Aufgaben altorientalistisch-arabistischer Philologie,» in: Otto Jastrow, Shabo Talay & Herta Harfenrichter (eds.), *Studien zur Semitistik und Arabistik: Festschrift für Hartmut Bobzin zum 60: Geburtstag* (Wiesbaden: Harrousowitz, 2008), pp. 247-279, and Paul-Alin Beaulieu, «Arameans, Chaldeans, and Arabs in Cuneiform Sources from the Late Babylonian Period,» in: Angelika Berlejung and Michael Streck (eds.), *Arameans, Chaldeans, and Arabs in Babylonia and Palestine in the First Millennium B.C.*, Leipziger Altorientalistische Studien 3 (Wiesbaden: Harrassowitz, 2013), pp. 31-55.

(86) Eph'al, p. 8.

(87) Beaulieu, pp. 47-53.

بادية الشام وأجزاء أخرى من فلسطين وشمال الجزيرة[88]. كما يُذكر العرب في أحد حِكم أحيقار كالتالي: «لا تُري العربي البحر ولا الصيداوي (الفينيقي، نسبة إلى صيداء) الصحراء، فنمط حياة كل منهما مختلف». وهي مجموعة من الأمثال والحكم تعود إلى القرن السابع ق. م. وأحيقار كان موظفًا عند الملك الأشوري أسرحدون (680-669 ق. م.). ويبدو أن شخصية أحيقار تمثّل شخصية لقمان الحكيم في القرآن الكريم[89].

استخدم اليونان مصطلح «عرب» للإشارة إلى سكان الجزيرة كافة، شمالها وجنوبها. وهناك إشارات كثيرة إلى ذلك عند الكتّاب اليونان والرومان[90]. وفي القرن الثالث الميلادي تقريبًا، بدأت المصادر اليونانية والبيزنطية تسمّي العرب سراقينيين (Saracens)، وهي تسمية يختلف العلماء في تحليل معناها، كما أن المصادر البيزنطية تشير إلى الملكة العربية ماوية: «ماوية ملكة السريقينين»[91]، وتسمّيهم المصادر السريانية طيّايا، نسبة إلى قبيلة طي[92].

لا ترد إشارة صريحة إلى العرب بالاسم في الكتابات الهيروغليفية المصرية القديمة، لكنهم يُذكرون بالاسم في كثير من الوثائق اليونانية من العصر البطلمي، في أماكن متعددة من مصر[93].

(2) أرض العرب: تستخدم كتب التاريخ المصطلح «جزيرة العرب» للإشارة إلى موطن العرب الأصلي، وبعضهم يعتبره الموطن الأول للشعوب السامية. وأفضل وصف لديار العرب في مصادر التراث العربي هو كتاب صفة

---

(88) Eph'al, pp. 60-72.

(89) أنيس فريحة، أحيقار: حكيم من الشرق الأدنى القديم (بيروت: الجامعة الأميركية في بيروت، 1962)، ص 27.

(90) Retsö, *The Arabs in Antiquity*, pp. 235-250.

(91) عرفان شهيد، روما والعرب (دمشق: دار كيوان، 2008)، وكذلك:
Macdonald, «Arabians, Arabias, and the Greeks,» pp. 1-33.

(92) Retsö, *The Arabs in Antiquity*, p. 520.

(93) سعيد السعيد، العلاقات الحضارية بين الجزيرة العربية ومصر في ضوء النقوش العربية القديمة (الرياض: مكتبة فهد الوطنية، 2003)، ص 99-107، وكذلك:
Gunter Vittmann, *Ägypten und die Fremden im ersten vorchristlichen Jahrhundert*, Kulturgeschichte der antiken Welt 97 (Mainz: Philipp von Zabern, 2005), pp. 180-193.

جزيرة العرب للسان اليمن أبو الحسن الهمداني (القرن العاشر الميلادي)، الذي حددها بأنها تشمل بلاد الشام وغرب الفرات إلى بلاد اليمن وأقاليم الجزيرة الأخرى(94).

أول إشارة إلى مكان سكن العرب في المصادر القديمة وردت عند الأشوريين كـ «مات أريبي mât Aribi, kur Aribi»، وهي تعني «أرض العرب»، وترد كثيرًا في المصادر المسمارية(95)، ومنها رقم بابلية متأخرة تذكر أن بعض العرب كان يسكن في مدينة خاصة به في جنوب العراق تدعى «مدينة العرب»(96). وعاش العرب في هذه الفترة في مناطق ممتدة من تخوم بلاد ما بين النهرين إلى شرق النيل في مصر(97).

على ما يبدو، إن أصل استخدام مصطلح Arabia، أي «العربية»، الذي تحول ليشير إلى الجزيرة العربية، يعود إلى اليونان الذين استخدموه للإشارة إلى مكان سكنى العرب، ووصفوا كل من يسكن الجزيرة من شمالها إلى جنوبها على أنهم عرب، فيذكر هيرودوت، في إطار تعداده الشعوب والبلدان في الشرق، أن Arabia يسكنها «العرب»، وأنها تتمحور بين شرق مصر وسيناء وبادية الشام. وقد أسس الملك الأخميني داريوس (521-486 ق. م.) بعد سيطرته على الشرق القديم مقاطعة أسماها «العربية» Arābiya(98)، وكان بليني قد وصف أجزاءً مختلفة من الجزيرة العربية، ومنها ما سمّاه البادية العربية أو بادية العرب Arabia Nomadum، وهي تقع إلى الشرق من البحر الميت(99).

---

(94) الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي (صنعاء: دار الإرشاد، 1990)، ص 82-90.

(95) Eph'al, pp. 5-11.

(96) Beaulieu, p. 48.

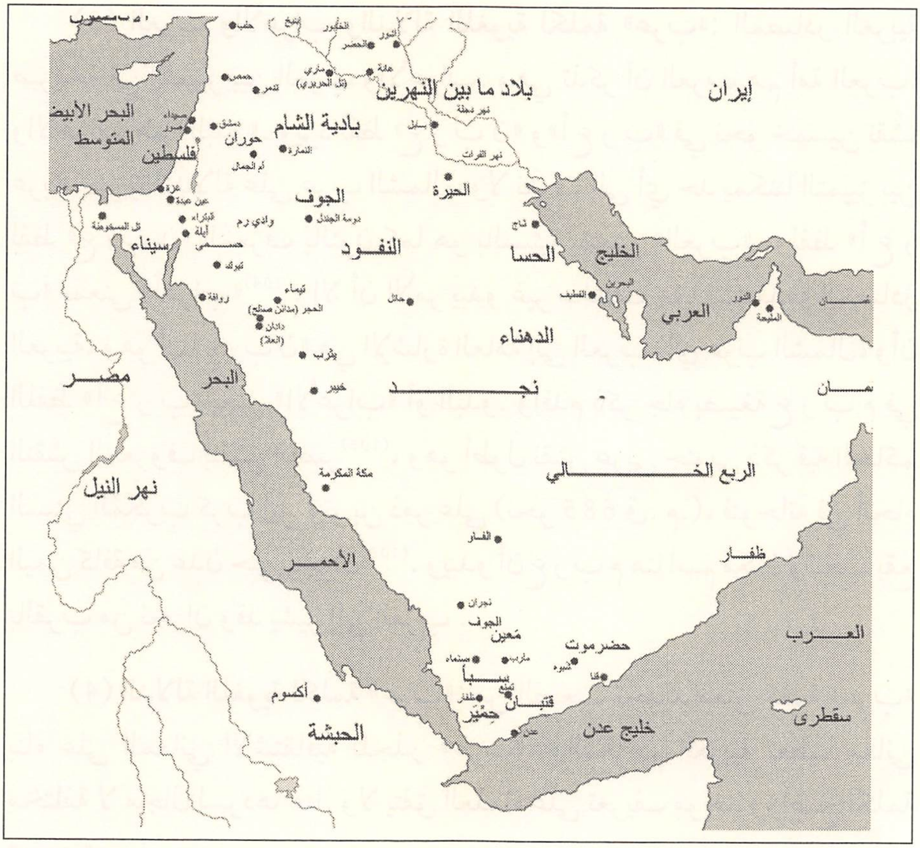
(97) Macdonald, «Arabians, Arabias, and the Greeks,» pp. 280-283.

(98) Herodotus, *Histories*, volume I: Books I-II, A. D. Godley (trans.), Loeb Classical Library (Cambridge: Harvard University Press, 1975), book II, pp. 8-13.

(99) Pliny The Elder, *Natural History*, vol. II, Books 3-7, H. Rackham, Loeb Classical Library no. 352 (Cambridge: Harvard University Press, 1961), Book 5, p. 72.

الخريطة (4-1)

الجزيرة العربية وبلاد ما بين النهرين وبلاد الشام



بعد القضاء على مدينة الحضر في العراق نحو أواسط القرن الثالث الميلادي[100]، كانت المنطقة الواقعة شرق الخابور تسمى «العربية» Beth Arabay في المصادر السريانية، وهناك إشارات كثيرة إلى العرب في تلك المصادر[101]، واللاتينية، واستمر ذلك في العصر الروماني والبيزنطي[102]. وتذكر النقوش العربية الجنوبية «أ ر ض ع ر ب م»، وتعني «أرض العرب»، ويبدو أنها تتقارب مع

---

(100) Dirven.

(101) Judah Benzion Segal, «Arabs in Syriac Literature before the Rise of Islam,» *Jerusalem Studies in Arabic and Islam*, no. 4 (1984), pp. 89-124.

(102) شهيد، ص 55.

ما تذكره المصادر العربية من أن هناك منطقة اسمها «أرض العرب» تقع بالقرب من نجران[103].

(3) **العرب والأعراب والدلالة اللغوية لكلمة «عرب»**: المصادر العربية صريحة في التمييز بين العرب والأعراب. وهي تذكر أن العرب هم أمة العرب، والأعراب هم «البدو». ويرد لفظ «ع ر ب ن» و«أ ع ر ب» في نحو خمسين نقشًا عربيًا جنوبيًا للدلالة على عرب الشمال، ولا نعرف إلى أي حد يمكننا التمييز بين لفظ «ع رب ن» المُعرّف بالنون كما هو بالسبئية بمعنى «العرب»، ولفظ «أ ع ر ب» بمعنى «أعراب»[104]، إلا أن الأمر يبدو غير مختلف عمّا تستخدمه المصادر العربية، وهو أن «ع رب ن» هي الإشارة العامة إلى العرب، أي عرب الشمال، وأن اللفظ «أ ع ر ب» يعني «الأعراب» أو البدو. وأقدم ذكر جاء بصيغة ع ر ب م في النقش المعروف بنقش النصر[105]، وهو أطول نقش عربي جنوبي ذكر فيه الحاكم السبئي المُكَرب كرب إيل وتر بن ذمر علي (نحو 685 ق. م.)، فتوحاته في أنحاء اليمن كافة من عدن حتى نجران[106]. ويبدو أن ع ر ب م هنا اسم مكان وشعب يقع بالقرب من نجران وقد يشير إلى العرب.

(4) **الدلالة اللغوية لكلمة «عرب»**: من الصعب تحديد معنى كلمة «عرب» بناء على المعاني الاشتقاقية للجذر «عرب». والمعاجم العربية تعطينا معاني مختلفة لا مجال لسردها هنا. ولا يتفق العلماء على تعريف موحد وواضح لكلمة «عرب».

---

(103) بافقيه، ص 199.

(104) المرجع نفسه، ص 194-210؛ علي عبد الرحمن الأشبط، **الأعراب في تاريخ اليمن: دراسة من خلال النقوش من القرن الأول ق. م. وحتى القرن 6م** (صنعاء: إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، 2004)، وكذلك: Christian Robin, «La Pénétration des Arabes nomades au Yémen,» dans: Christian Robin (ed.), *L'Arabie antique de Karib'il à Mahomet: Nouvelles données sur l'histoire des Arabes grâce aux inscriptions* (= Revue du monde Musulman et de la Méditerranée 61/3) (1991-1993), pp. 71-88.

(105) RES 3945 = Répertoire d'Epigraphie Sémitique (Paris) (1914).

(106) N. Nebes, *Der Tatenbericht des Yiṯaʿamar Watar bin Yakrubmalik aus Ṣirwāḥ* (*Jemen*) *Zur Geschichte Südarabiens im frühen 1: Jahrtausend vor Christus*, Epigraphische Forschungen auf der Arabischen Halbinsel, Band 7 (Tübingen: Wasmuth-Verlag, 2016).

جاءت في مصادر التراث العربي قصص متواترة حول أصل العرب. والعربي هو المنسوب إلى العرب، وإن لم يكن بدويًا. والأعرابي: البدوي، وهم الأعراب، والأعاريب: جمع الأعراب[107].

ويرد المعنى الاشتقاقي للثلاثي «عرب» في لغات سامية عدة، وهذا ملخص لها كالتالي:

تعني كلمة ع ر ب في العربية «الصفاء والنقاء»[108]. وترد في الأكادية *erēbu* بمعنى «دخل»[109]، وفي العربية الجنوبية (السبئية والقتبانية والمعينية) تأتي بالمعنى نفسه. ويضاف إلى ذلك «م ع ر ب» التي تعني في العربية الجنوبية «مدخل، باب»، وتأتي «ع ر ب» أيضًا بمعنى «قدّم قربانًا»، وكذلك بمعنى «غَرُب» أي غروب الشمس، وكلمة م ع ر ب تعني هنا «مغرب» بالعربية الجنوبية[110]. وترد «ع ر ب» بمعنى «ضمِن، أعطى ضمانة، أعطى عربونًا»، في الآرامية وعبرية التوراة[111]، من هنا دخلت العربية. ولا تساعدنا هذه المعاني كلها في حسم مسألة الدلالة اللغوية لكلمة «عرب».

د- من هم العرب في عصور قبل الإسلام؟

بعد بعض هذه الإيضاحات اللغوية، لا بد لنا من تحديد المفهوم التاريخي لكلمة «عرب»، وما الذي نفهمه تحت هذا المصطلح، أهُم مجموعة إثنية محددة، أم أن هذه التسمية مرادفة لما يسمّى «الشعوب السامية» أو الشعوب الناطقة باللغات «الأفرو - آسيوية»؟ وما عدا كثير من الباحثين العرب، فإن الدارسين والمؤرخين بشكل عام لا يعتبرون المصطلح عرب مرادفًا للساميين، وتصبح الأمور أكثر تعقيدًا إذا اعتبرنا أن كلمة عرب مرادفة للناطقين باللغات

---

(107) أبو الفضل جمال الدين ابن مكرم بن منظور، لسان العرب، 16 ج (بيروت: دار صادر، 2000)، مادة عرب، وعلي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 286-302.

(108) ابن منظور، مادة عرب.

(109) Black, George and Postgate, p. 77.

(110) المعجم السبئي، ص 18-19.

(111) Jacob Hoftijzer & Karel Jongeling, *Dictionary of the North-West Semitic Inscriptions*, Handbuch der Orientalistik 21, 2 vols. (Leiden: Brill, 1995), pp. 884-886.

الأفرو - آسيوية. لا يتفق العلماء العرب ولا علماء الغرب على معنى محدد لمفهوم كلمة «عرب»، وهذا استعراض للنظريات المختلفة للتعريف بالعرب، ملخصة كما يلي:

(1) **العرب هم «سكان الصحراء» أو «البدو»**: هذا هو الرأي السائد عند كثيرين من علماء العرب وعند كثيرين من المستشرقين منذ القرن التاسع عشر حتى اليوم، إلا أن دارسين كثرًا لا يتفقون مع هذا الطرح[112]. وترد كلمة «عرب» في العهد القديم بمعنى «سكان الصحراء»، وقد جرى الربط بينهم وبين تربية الجمال[113]. والإشارة هنا عامة إلى جميع القبائل والشعوب العربية، ومنها الإسماعيليون الذين يوصفون بأنهم بدو يقطنون المنطقة الواقعة بين البحر الميت ونهر الفرات، وهذا المعنى التوراتي كان له أثر بالغ التأثير في الباحثين[114]. ليس هناك معلومات تاريخية تؤكد أن العرب سكنوا في الصحراء فحسب، والمصادر التاريخية تذكر أن العرب سكنوا الصحراء والواحات بمدنها المحصنة، وسكنوا القرى والمدن أيضًا[115].

هناك دراسات أثرية وأنثروبولوجية حديثة ركزت على العلاقة بين سكان الصحراء والمراكز الحضرية، وهي تفيد بأن ليس من الضروري أن يكون مصطلح «بدو» و«سكان الصحراء» بالمعنى نفسه. فربما يسكن البدو في مناطق جبلية، وسكان الصحراء ليسوا بدوًا بالضرورة. وهناك معضلة أن كثيرًا من سكان البادية والصحراء مارسوا الزراعة والتجارة ومهنًا أخرى مختلفة كان يمارسها السكان الحضر، وهنا لا بد من مناقشة مصطلح عرب في سياقه التاريخي[116].

تشير المصادر العربية إلى العرب على أنهم من أهل الوبر، وهُم أهل البادية،

---

(112) Retsö, *The Arabs in Antiquity*, pp. 107-108, and Eph'al, *The Ancient Arabs*, pp. 5-7.

(113) ريتشارد بوليت، **الجمل والعجلة**، ترجمة مروان سعد الدين (أبو ظبي: ثقافة للنشر والتوزيع وهيئة أبو ظبي للثقافة والتراث «كلمة»، 2009)، ص 155-193.

(114) Greg Fischer, *Between Empires: Arabs, Romans, and Sasanians in Late Antiquity* (Oxford: Oxford University Press, 2011), pp. 162-172.

(115) Walter Dostal, «Die Araber in vorislamischer Zeit,» *Der Islam*, no. 74 (1997), pp. 1-63.

(116) جبرائيل سليمان جبُّور، **البدو والبادية: صور من حياة البدو في بلاد الشام** (بيروت: دار العلم للملايين، 1988).

وأنهم من أهل المَدَر، وهُم العرب المستقرون أو الحضر. ولا يجوز استخدام كلمة بدو على أنها مرادفة لقبيلة؛ فالقبيلة يمكن أن تكون بدوية رحالة، أو مستقرة كما هي الحال في اليمن؛ إذ إن القبائل اليمنية قبل الإسلام وبعده كانت في معظمها مستقرة وتمارس التجارة والزراعة[117]، وكذلك الأمر بالنسبة إلى كثير من القبائل وسط الجزيرة وشماله[118].

لعل أنماط الحياة المختلفة التي كان يمارسها سكان الجزيرة العربية، كالزراعة والتجارة والرعي، إضافة إلى طبقة الفرسان المحاربين، تجعل من الصعوبة تطبيق سمات المجتمع البدوي عليها، وهنا لا يمكن الأخذ بمقولة أن كلمة «عرب» هي مرادفة لـ «بدو»[119].

(2) العرب هم من يتكلمون العربية: هذه النظرية جاءت تحت تأثير التيارات القومية، أي إن من يتحدث اللغة العربية عربي، ووجود متحدثين بالعربية في أي مكان دليل على عروبة هذا المكان[120].

(3) العرب هم طبقة من الفرسان والمحاربين: صاحب هذه النظرية هو يان رتسو (J. Retsö) الذي ينفي أن يكون العرب هم «سكان الصحراء»، أو أن كلمة عرب تعني «البدو». وكلمة عرب عنده لا تعني مجموعة إثنية أو قومية، ويعتقد أن العرب هم طبقة من الفرسان والمحاربين، ويقول إن كلمة عرب تعني أيضًا «جيش»؛ فهُم، بحكم قوتهم العسكرية، عملوا كقوات خفر وحرس، وكانوا يقدمون خدماتهم لحراسة المناطق الحضرية، وأن طبقة هؤلاء الفرسان ارتبطت باستخدام الحصان على شكل واسع بدءًا من القرن الأول الميلادي[121]، وفق نقوش الجزيرة العربية. ولا يجوز إسقاط صورة الفرسان العرب الذين يظهرون في العصر الروماني - كمصطلح جامع - على جميع العرب، لأن هذه مسألة متأخرة

---

(117) ميخائيل بيتروفسكي، اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة: القرن الرابع حتى العاشر الميلادي (بيروت: دار العودة، 2007).

(118) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص 271-286.

(119) Macdonald, «Arabians, Arabias, and the Greeks,» pp. 2-3.

(120) Eph'al, pp. 110-111.

(121) Retsö, *The Arabs in Antiquity*, pp. 110-111 and 378.

كثيرًا على ظهور العرب في التاريخ، حيث إنهم ظهروا منذ القرن التاسع ق. م. في المصادر المكتوبة.

(4) العرب مجموعة إثنية - قومية، التكوين التاريخي للأمة العربية قبل الإسلام: هذه النظرية التي طورها غوستاف فون غرونِباوم (1909-1972) تعتبر أن العرب مجموعة بشرية ذات سمات خاصة، على الرغم من ممارستهم أشكالًا مختلفة من الحياة الاجتماعية والسياسية. ويصف فون غرونِباوم العرب بأنهم «قومية ثقافية» (Kulturnation)، ويمكن أن نفهم هذا التعريف كالتالي: «قومية ذات روابط ثقافية ومدركات جماعية»، وهي تبقى محافظة على هويتها الثقافية في حالة السيطرة السياسية الأجنبية، إضافة إلى أن العرب يمكن أن يشكلوا بأنفسهم دولة خاصة بهم، كما حدث ذلك مثلًا بتأسيس دولة الأنباط[122]. ولا شك في أن هناك معضلة في إقحام التعريفات الحديثة للقومية والإثنية على الشعوب القديمة[123].

لكن يمكن القول إن مصطلح «عرب» هو مصطلح عام أُطلق على مجموعة من الشعوب والقبائل التي سكنت المنطقة الممتدة من أواسط الجزيرة العربية إلى سواد العراق وإلى الجزيرة الفراتية، وحتى سيناء، منذ فترة مبكرة من التاريخ لا نستطيع تحديدها، ولكنها ترجع ربما إلى آلاف الأعوام، ويظهر اسمها أول مرة في القرن التاسع ق. م. ويستمر حتى اليوم. وتربط بين هذه الشعوب مدركاتٌ لغوية وثقافية ودينية وتشريعية جماعية[124].

يبدو أن العرب لم يستخدموا هذا المصطلح للدلالة على أنفسهم إلا نادرًا جدًا، وليس لدينا إلا القليل من الشواهد[125]، والطريف أن لا العرب الأنباط ولا

(122) Gustav Edmund Von Grunebaum, «The Nature of Arab Unity before Islam,» in: F. E. Peters (ed.), *The Arabs and Arabia on the Eve of Islam*, The Formation of the Classical Islamic World 3 (Ashgate: University of Michigan, 1999), pp. 1-19, and Fischer, pp. 135-172.

(123) Anthony D. Smith, *The Ethnic Origins of Nations* (Oxford: Basil Blackwell, 1988), pp. 21-41.

(124) Macdonald, «Arabians, Arabias, and the Greeks,» pp. 294-297, and Fischer, pp. 135-172.

(125) Robert Hoyland, «Epigraphy and the Emergence of Arab Identity,» in: Petra Sijpestein, et al. (eds.), *From Al-Andalus to Khurasan: Documents from the Medieval Islamic World* (Leiden: Brill, 2007), pp. 220-242.

عرب تدمر سمّوا أنفسهم عربًا[126]. ولعل مسألة الوعي القومي عند الشعوب القديمة لم تكن موجودة كما يتصوره العلماء المحدثون؛ فالعرب بشكل عام يتيمّنون بأسماء قبائلهم وشعوبهم وعشائرهم، سواء في وسط الجزيرة أم في شمالها أم في بادية الشام أم في مناطق أخرى، لذا فإننا نعرف المئات من أسماء العشائر والقبائل العربية الشمالية أو الجنوبية التي وردت في النقوش العربية الشمالية المبكرة أو في النقوش العربية الجنوبية. ومن أسماء القبائل العربية التي ترد في النقوش العربية الجنوبية كندة وغسان ومعد ومذحج والأزد، وغيرها من القبائل المعروفة من مصادر التراث العربي[127]. من هنا، فإن معظم الإشارات إلى استخدام كلمة «عرب» جاءت من جيران في وصفهم للعرب[128].

في النقوش اليمنية، لم يسمِّ أهل اليمن قبل الإسلام أنفسهم عربًا، بل استخدموا أسماء شعوبهم، أي شعوب سبأ وقتبان ومعين وحضرموت وحمير[129]. ومنذ القرن الأول الميلادي، يظهر مصطلح «عرب، أعراب» كثيرًا كإشارة إلى قبائل عربية شمالية في النقوش السبئية. وابتداء من القرن الثالث الميلادي، يخبرنا ملوك سبأ وملوك حمير عن حملاتهم لإخضاع هذه القبائل في وسط الجزيرة العربية[130].

تُضاف إلى ذلك بدايات توحيد الجزيرة من جانب الملوك الحميريين الذين سيطروا على أجزاء واسعة من الجزيرة منذ بداية القرن الرابع الميلادي، ونسجوا علاقات دولية مع كثير من البلدان المجاورة[131]. وفي القرن السادس الميلادي (500–570)، أصبحت دولة حمير ومراكز سيطرتها في الجزيرة تحت سيطرة

(126) Macdonald, «Arabians, Arabias, and the Greeks,» p. 280.

(127) الروسان، وبيتروفسكي، وكذلك: Harding.

(128) Macdonald, «Arabians, Arabias, and the Greeks,» p. 280.

(129) بافقيه، ص 60–66.

(130) بيتروفسكي، وكذلك: Christian Robin, «Ethiopia and the Arabian Peninsula in Late Antiquity,» in: Scott Fitzgerald Johnson (ed.), *The Oxford Handbook of Late Antiquity* (Oxford: Oxford University Press, 2012), pp. 262-276.

(131) Ibid., pp. 262-276.

الأحباش[132]. ويمكن رؤية بدايات تكوين أمة العرب[133] من خلال الإرهاصات التي بدأت في وسط الجزيرة وشمالها لتوحيد عدد من القبائل العربية، كما جاء في نقش النمارة (328 م.): «امْرؤ القَيس بن عَمرو ملك العرب كُلّها»[134].

سادسًا: الوعي التاريخي ومسألة تكوين الهوية التاريخية لأمة العرب

لعل من أهم وظائف علم التاريخ وظيفة تنظيم مسألة الوعي التاريخي، وهذا يعني تنظيم مسألة فهم الماضي وتحليل الحاضر ووضع رؤيا للمستقبل. يحتوي الوعي التاريخي على مسائل شتي بحيث لا نجد عند الباحثين تعريفًا موحدًا له، ومن ذلك أن الوعي التاريخي يشكّل «تفاعل وسائل المعرفة وتكاملها في البحث عن خصوصية المكون التاريخي»، ولا يعني مجرد المعرفة، بل يتعدى ذلك إلى مرحلة الاهتمام بالتاريخ، حيث يشمل تفسير العلاقات بين الماضي بما يرتبط بفهم الحاضر والمستقبل المنظور. ويصفه آخرون بأنه «النشاط العقلي للذاكرة التاريخية»[135].

يجب أن يؤخذ في الحسبان مسألة أبعاد الوعي التاريخي الأساسية، مثل الوعي بالحادث التاريخي، والوعي الزماني للحادث، والوعي بمسألة التمييز بين الحقيقي والخيالي، فضلًا عن الوعي الاجتماعي والاقتصادي والهوية الذاتية للفرد وانتمائه الاجتماعي، وما إذا كان ينتمي إلى مجتمع ذي بنية جماعية أو بنية انفرادية[136].

تشكّل الحضارات القديمة في البلدان العربية المكون الأساس للثقافة العربية؛ فهي الجذور الأولى لثقافة الشعوب العربية، فمنها تعلّم العرب وتعلّم العالم

(132) Ibid., pp. 281-298.

(133) عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربية: دراسة في الهوية والوعي، ط 3 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1986)، ص 13-33.

(134) Manfred Kropp, «Vassal - Neither of Rome nor of Persia: Mar' al-Qays the Great King of the Arabs,» *Proceedings of the Seminar for Arabian Studies*, no. 23 (1993), pp. 63-93.

(135) Rüsen, pp. 221-251.

(136) Ibid, pp. 97-165.

تقسيم الأسبوع إلى سبعة أيام، وعرف العرب منها تقسيم السنة إلى اثني عشر شهرًا، وما زالوا يستخدمون الشهور البابلية (نيسان، أيار ...إلخ)[137]. إن العرب هم الوارثون الشرعيون لحضارات الشرق القديم، وابتداء من القرن السابع الميلادي - مع ظهور الإسلام - قاموا بتغيير صورة الشرق القديم، حيث إن اللغات والثقافات والشعوب كلها ذابت في الحضارة العربية الإسلامية. من هنا، فإن أهم سمات هوية العرب الثقافية هي التعددية الثقافية، وتُعتبر حضارات الشرق القديم من المكونات الأساسية للهوية التاريخية العربية القُطرية. وفي بلدان المغرب العربي، كان لمكون حضارات البربر أثر بارز في تكوين الهوية الوطنية لتلك البلدان. ولا بد من تأكيد أن الحضارات القديمة الممتدة من المشرق العربي إلى بلاد المغرب تشكّل وحدة لغوية وثقافية واحدة ابتداء من الألف السابع ق. م. على أقل تقدير[138]، والهوية التاريخية العربية التي تكونت عبر آلاف الأعوام أصبح من أهم ملامحها اليوم الهوية العربية الإسلامية[139]. وتتجلى في الوقت الحاضر الحضاراتُ القديمة في صورة الهوية التاريخية الإقليمية أو القُطرية، الهويات السورية والمصرية واليمنية والعراقية والمغربية، ولا أعتقد أن بإمكاننا الحديث عن هوية عربية تاريخية حديثة واحدة؛ فالهوية التاريخية العربية الواحدة في العصور الحديثة هوية افتراضية لطغيان الهوية القُطرية عليها، لكن يمكن الحديث عن الهوية التاريخية الحديثة الجامعة، ذات الجذور التاريخية الواحدة والمدركات الجماعية الواحدة، كاللغة مثلًا، وهي تمتاز بالتعددية الثقافية.

ذكرنا أنه لم يكن هناك وعي تاريخي لدى شعوب الشرق القديم إلا بشكل محدود، لكن تجدر الإشارة إلى الذاكرة التاريخية التي كانت تشكل عنصرًا مهمًا في بنية حضارات الشرق القديم. وتجدر الإشارة إلى أن المصطلح «أُمَّة» (ummatu) يعود في أصوله إلى اللغة الأمورية (لغة مملكة ماري، تل الحريري، قرب دير الزور)، حيث يرد أول مرة في القرن الثامن عشر تقريبًا بمعنى «قبيلة» أو «تحالف

---

(137) Hallo.

(138) كامب.

(139) سليمان حزين، أرض العروبة: رؤية حضارية في الزمان والمكان (القاهرة: دار الشروق، 1993).

قبلي»[140]. ويظهر هذا المصطلح أيضًا في عبرية التوراة بالدرجة الأولى للإشارة إلى قبائل مدين العربية (Eph'al 1982). ومنذ بداية القرن الأول الميلادي، تظهر إرهاصات تكوين العرب ليكتمل تطورها بين القرن الرابع إلى القرن السادس[141] لتكتمل في القرن السابع مع ظهور الإسلام بشكل أمة العرب، متمثّلة في الدين الواحد واللغة الواحدة. وأما إعادة استخدام المصطلح أمة حديثًا، فيعتمد على هوية العرب في العصور الإسلامية[142].

إن المعضلة الأساس اليوم في دراسة مسألة الوعي التاريخي هي مسألة الانفصام التاريخي عند العرب؛ فالعرب - بشكل عام - ونخبهم عندهم انفصام في التعامل مع تاريخهم في عصور ما قبل الإسلام، وهناك انفصام بين العرب وتاريخهم في العصر الإسلامي. والمؤرخون العرب لا يُبرزون عناصر الحركة والتواصل في تاريخهم، ولا يجدون استمرارية لتاريخهم القديم في العصور الحديثة إلا بطرق مبتورة وضبابية. ولم تستطع المؤسسات العلمية العربية بشكل عام خلق وعي لدى الإنسان العربي بأن هذه الحضارات تشكل جزءًا من هويته الثقافية، وأن هويته التاريخية واللغوية هي مكونات أساسية من شخصية الأمة، وأن هوية الأمة ليس لها معنى من دون الجذور التاريخية للهوية الثقافية والتي تشكلت عبر آلاف الأعوام ودوّنها أصحاب حضارات المنطقة العربية وورثها العرب. لكننا نشهد أن منهجية الدولة العربية القُطرية أصبحت هي الطاغية في كتابة التاريخ، وأصبحت هذه الدولة القُطرية تتعامل مع تاريخها القديم على أنها استمرار له. وتتسم المؤسسات العربية وتلتزم بالتاريخ القُطري للدولة المعنية، وتحمل أحيانًا في طياتها العصبية القبلية، أكان ذلك في إطار الجامعات أم في إطار المعاهد العلمية الأخرى بالدرجة الأولى.

(140) Michael Streck, *Das amurritische Onomastikon der altbabylonischen Zeit: Die Amurriter, die onomastische Forschung, Orthographie und Phonologie, Nominalmorphologie*, Bd. 1, Alter Orient und Altes Testament 271/1 (Münster: Ugarit-Verlag, 2000), p. 120.

(141) بيتر غريازنيفيتش، «تطور الوعي التاريخي عند العرب: القرون (6-8)»، في: دراسات في تاريخ الثقافة العربية: القرون 5-15، تحرير بول شاكوف، ترجمة أيمن أبو الشعر (موسكو: دار التقدم، 1989)، ص 71-164.

(142) الدوري، ص 13-33، وناصيف نصار، مفهوم الأمة بين الدين والتاريخ: دراسة في مدلول الأمة التراث العربي الإسلامي، ط 3 (بيروت: دار الطليعة، 1983).

لا يمكن أن نفهم الشخصية العربية إلا بفهم الأبعاد التاريخية للثقافة العربية وجذورها التاريخية، التي تشكلت وتطورت خلال مراحل تاريخية طويلة وضمن حضارات العرب الأولى. ومن المسائل التي يمكن أن تساعدنا في فهم مسألة الوعي التاريخي مسألة الثقافة العربية، وبالذات ما نسمّيه مسألة نمط التفكير عند العرب، وكذلك أنماط السلوك العربي والمعايير الثقافية العربية[143].

لعل الخطاب الديني المتعصب، خصوصًا خطاب الحركات السياسية الإسلامية التي ظهرت في العقود الأخيرة، كان له دور أساس في مسخ صورة العرب التاريخية وتدمير الذهنية والذاكرة الثقافية والتاريخية عند العرب، فكل ما ليس في برنامج هذه الحركات كافر ووثني، وفي أحسن الأحوال بدعة، ويجب سحقه، بحسب رأيها. ولم تستطع هذه الحركات، طبعًا في غياب الدولة الوطنية أو بالتواطؤ معها، أن تتسرب إلى شرائح المجتمع العربي والقضاء كافة أو أن تشوّه كثيرًا من المعايير الاجتماعية والعادات والتقاليد العربية الأصيلة لحساب القيم السلفية التي لا تستوعب القيم الحضارية فحسب[144]، بل استطاعت أيضًا أن تدمر كثيرًا من المباني والمدن الأثرية ابتداء من عشرينيات القرن الماضي. ولعل قيام «داعش» بتدمير مدينة الحضر الأثرية وإحدى العواصم الأشورية تل نمرود (كلخو) في العراق، وتدمير أهم معالم مدينة تدمر في سورية وغيرها هو استمرارية للفكر الظلامي الأهوج الذي ترسخ بين بعض الشرائح الاجتماعية العربية.

إن الدولة الوطنية لم تستوعب مسألة الحضارات القديمة كجزء من تراثها وهويتها إلا بشكل متفاوت، حتى أن دولًا خافت من تراثها، مثل ليبيا التي تحتوي على آثار قائمة من العصر الروماني في سبراطه وشحات أكثر مما هو موجود في روما، عاصمة الإمبراطورية نفسها؛ فما هو من عصر الاحتلال أو السيطرة الرومانية لبلادنا ليس رومانيًا بالضرورة، بل بناه أهل البلاد بالطراز المعماري الروماني. ومدينة تدمر التي دمرها الرومان عام 273، بعد القضاء على ملكتها زنوبيا، لم يبنها الرومان.

---

(143) حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر: بحث استطلاعي اجتماعي، ط 6 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1998).

(144) المرجع نفسه.

نأخذ هنا مثلًا دور الدولة الوطنية في تدمير الآثار، وهو بنيان خاص بالإله العربي الشمالي «ذو الخلصة»، ومعبده المعروف في كتب التراث بالكعبة اليمانية هو إحدى كعبات العرب وقد دُمِّر بين عامي1341 و1344 هـ (1921 و1925 م.)، ويوصف بأنه كان بيت أصنام لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان في بلادهم من العرب بتبالة جنوب مكة. وكان ممن وصفوا هذه الحوادث رشدي الصالح ملحس، محرر كتاب أخبار مكة للأزرقي، كالتالي:

«ولما استولى جلالة الملك عبد العزيز الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية، على الحجاز في عام 1343هـ، عيّن عبد العزيز بن إبراهيم أميرًا على مقاطعة الطائف، وانتدبه لقيادة حملة سيّرها جلالته لإخضاع القبائل القاطنة في سراة الحجاز.

بعد أن أخضعت الحملة قبائل زهران النازلة في الوادي المعروف باسمها، خرجت إلى جبال دوس، وذلك في شهر ربيع الثاني من عام 1344 هـ، وكان في دسكرة (ثروق) جدران بنيان ذي الخلصة لا تزال قائمة، وبجانبها شجرة العبلاء، فأحرقت الحملة الشجرة، وهدمت البيت، ورمت بأنقاضه إلى الوادي، فعفي بعد ذلك رسمها وانقطع أثرها. ويقول أحد الذين رافقوا الحملة إن بنيان ذي الخلصة كان ضخمًا بحيث لا يقوى على زحزحة الحجر الواحد منه أقلّ من أربعين شخصًا، وإن متانته تدل على مهارة وحذق في البناء. وقال لنا أحد شيوخ بني زهران أن بنيان الخلصة كان تامًا، ولما استولى الإمام سعود الكبير على عسير في الربع الأول من القرن الثالث عشر، هدم قسمًا منه وبقيت جدرانه قائمة إلى عام 1344 كما ذكرنا»[145].

ملخص نتائج البحث

رسم هذا البحث خطوطًا عامة للمنهجية المتّبعة في تأريخ الحضارات القديمة في البلدان العربية، وتحديدًا في المشرق العربي، وأشار إلى أنه لا يمكن

(145) أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصالح ملحس (جدة: محمد سعيد عبد المقصود خوجة، 1425هـ/ 2005م)، ص 73، الهامش 1، ص 256.

مؤرخ الحضارات القديمة أن يكتب تاريخ هذه الحضارات من دون الاعتماد على المصادر المكتوبة، من أكادية وأوغاريتية وسبئية وغيرها، والتعامل معها، ولا بد للباحث في تاريخ حضارات الجزيرة العربية من استخدام نقوش الجزيرة العربية وكتاباتها قبل الإسلام.

يكشف هذا البحث عن الصعوبات الجمة التي يواجهها الباحث في التعامل مع حضارات الشرق القديم وتاريخ العرب القديم، وفي نقد المسلَّمات، ويُظهر جليًا أن من غير الممكن الاعتماد على مصادر التراث العربي الإسلامي منفردة في كتابة هذا التاريخ، ولا مفر للمؤرخ من استخدام المنهجيات والمعايير العلمية العالمية التي توصلت إليها العلوم الحديثة في مجال العلوم الإنسانية. وأشار البحث إلى الدور التي تقوم به الحضارت القديمة في بلاد العرب في تكوين الشخصية والهوية التاريخة العربية.

المراجع

1 - العربية

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين ابن مكرم. **لسان العرب**. 16 ج. بيروت: دار صادر، 2000.

الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد. **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**. تحقيق رشدي الصالح ملحس. جدة: محمد سعيد عبد المقصود خوجة، 1425هـ/ 2005م.

الأشبط، علي عبد الرحمن. **الأعراب في تاريخ اليمن: دراسة من خلال النقوش من القرن الأول ق. م. وحتى القرن 6م**. صنعاء: إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، 2004.

الأنصاري، عبد الرحمن ويوسف عبدالله (محرّران). **الكتاب المرجع في تاريخ الأمة العربية**. 7 ج. تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 2005.

ج 1: **الجذور والبدايات**.

إنغلس، فريدرك. **أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة**. موسكو: دار التقدم (صدر بالألمانية سنة 1884، والترجمة العربية طبعات عدة).

بار، يوسف وعميحاي مزار. **علم الآثار في إسرائيل: وجهة نظر إسرائيلية**. القدس: المركز العربي للدراسات المعاصرة، 1994.

بافقيه، محمد. **توحيد اليمن القديم: الصراع بين سبأ وحمير وحضرموت من القرن الأول إلى القرن الثالث الميلادي**. ترجمة علي محمد زيد. صنعاء: المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، 2007.

بافقيه، محمد [وآخرون]. **مختارات من النقوش اليمنية القديمة**. تونس: المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، 1985.

بركات، حليم. **المجتمع العربي المعاصر: بحث استطلاعي اجتماعي**. ط 6. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1998.

البشير، سليمان. **مقدمة في التاريخ الآخر: نحو قراءة جديدة للرواية الإسلامية**. القدس: [د. ن.]، 1984، وبيروت: دار الجمل، 2013.

بوتس، ت. دانيال. **الخليج العربي في العصور القديمة**. ترجمة إبراهيم خوري. 2 ج. أبو ظبي: المجمع الثقافي، 2003.

بوليت، ريتشارد. **الجمل والعجلة**. ترجمة مروان سعد الدين. أبو ظبي: ثقافة للنشر والتوزيع وهيئة أبو ظبي للثقافة والتراث «كلمة»، 2009.

بيتروفسكي، ميخائيل. **اليمن قبل الإسلام والقرون الأولى للهجرة: القرن الرابع حتى العاشر الميلادي**. بيروت: دار العودة، 2007.

جبُّور، جبرائيل سليمان. **البدو والبادية: صور من حياة البدو في بلاد الشام**. بيروت: دار العلم للملايين، 1988.

حزين، سليمان. **أرض العروبة: رؤية حضارية في الزمان والمكان**. القاهرة: دار الشروق، 1993.

الدوري، عبد العزيز. **التكوين التاريخي للأمة العربية: دراسة في الهوية والوعي**. ط 3. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1986.

روبان، كريستيان وبوركهات فوكت. **اليمن: في بلاد ملكة سبأ**. ترجمة بدرالدين عرودكي. باريس: معهد العالم العربي، 1999.

الروسان، محمود. **القبائل الصفوية والثمودية**. الرياض: جامعة الملك سعود، 1992.

سعيد، إدوارد. **الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق**. ترجمة محمد عناني. القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، 2006.

السعيد، سعيد. **العلاقات الحضارية بين الجزيرة العربية ومصر في ضوء النقوش العربية القديمة**. الرياض: مكتبة فهد الوطنية، 2003.

السيد، رضوان. **المستشرقون الألمان: النشوء والتأثير والمصائر**. بيروت: دار المدار الإسلامي، 2007.

شهيد، عرفان. **روما والعرب**. دمشق: دار كيوان، 2008.

علي، جواد. **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**. 10 ج. ط 2. بيروت: دار العلم للملايين، 1976.

غريازنيفيتش، بيتر. «تطور الوعي التاريخي عند العرب: القرون (6-8)». في: **دراسات في تاريخ الثقافة العربية: القرون 5-15**. تحرير بول شاكوف. ترجمة أيمن أبو الشعر. موسكو: دار التقدم، 1989.

فريحة، أنيس. **أحيقار: حكيم من الشرق الأدنى القديم**. بيروت: الجامعة الأميركية في بيروت، 1962.

فنكلشتاين، إسرائيل ونيل سيلبرمان. **التوراة اليهودية مكشوفة على حقيقتها: رؤية جديدة لإسرائيل القديمة وأصول نصوصها المقدسة على ضوء اكتشافات علم الآثار**. ترجمة سعد رستم. دمشق: صفحات للدراسات والنشر، 2001.

فوك، يوهان. **تاريخ حركة الاستشراق: الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين**. بيروت: دار المدار الإسلامي، 2001.

كامب، غابرييل. **البربر: ذاكرة وهوية**. ترجمة عبد الرحيم حزل. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، 2014.

كرونه، باتريشيا. **تجارة مكة وظهور الإسلام**. ترجمة آمال محمد الروبي. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2005.

كلوتشكوف، أ. وآخرون. **الجديد حول الشرق القديم**. موسكو: دار التقدم، 1988.

كوثراني، وجيه. **تأريخ التاريخ: اتجاهات - مدارس - منهاهج**. الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013.

مختار، جمال (محرّر). **تاريخ أفريقيا العام: المجلد الثاني: حضارات أفريقيا القديمة**. باريس: جنن أفريك، اليونسكو، 1986.

نصار، ناصيف. **مفهوم الأمة بين الدين والتاريخ: دراسة في مدلول الأمة التراث العربي الإسلامي**. ط 3. بيروت: دار الطليعة، 1983.

الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب. **صفة جزيرة العرب**. تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي. صنعاء: دار الإرشاد، 1990.

وايتلم، كيث. **اختلاق إسرائيل القديمة**. ترجمة سحر الهنيدي. عالم المعرفة 249. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1999.

2- الأجنبية

Abu El-Haj, Nadia. *Facts on the Ground: Archaeological Practice and Territorial Self-Fashioning in Israeli Society*. Chicago: The University of Chicago Press, 2002.

Azmeh, Aziz. *The Emergence of Islam in Late Antiquity: Allah and His People*. Cambridge: Cambridge University Press, 2014.

Baines, John. «Ancient Egypt.» in: Feldherr, Andrew & Grant Hardy (eds.). *The Oxford History of Historical Writing*. Oxford: Oxford University Press, 2011.

Beaulieu, Paul-Alin. «Arameans, Chaldeans, and Arabs in Cuneiform Sources from the Late Babylonian Period.» in: Angelika Berlejung and Michael Streck (eds.). *Arameans, Chaldeans, and Arabs in Babylonia and Palestine in the First Millennium B.C.* Leipziger Altorientalistische Studien 3. Wiesbaden: Harrassowitz, 2013.

Black, Jeremy, Andrew George and Nicholas Postgate (ed.). *A Concise Dictionary of Akkadian*. Wiesbaden: Harrassowitz, 2000.

Cohen, Mark E. *The Cultic Calendars of the Ancient Near East*. Bethesda: CDL Press, 1993.

Diakonoff, Igor M. *Early Antiquity*. Ann Arbor: University of Michigan Library, 1991.

_______. *The Paths of History*. Cambridge: Cambridge University Press, 1999.

Dirven, Lucinda (ed.). *Hatra: Politics, Culture and Religion between Parthia and Rome*. Stuttgart: Franz Steiner Verlag, 2013.

Dostal, Walter. «Die Araber in vorislamischer Zeit.» *Der Islam*. no. 74 (1997).

Edzard, Dietz-Otto. *Geschichte Mesopotamiens*. München: C. H. Beck, 2009.

Eph'al, Israel. *The Ancient Arabs: Nomads on the Borders of the Fertile Crescent, 9th-5th Centuries B. C.* Jerusalem/Leiden: Magnes/Brill, 1982.

Feldherr, Andrew & Grant Hardy (eds.). *The Oxford History of Historical Writing*. Oxford: Oxford University Press, 2011.

Fischer, Greg. *Between Empires: Arabs, Romans, and Sasanians in Late Antiquity*. Oxford: Oxford University Press, 2011.

Garbini, Giovanni. *Myth and History in the Bible*. Journal for the Study of the Old Testament. Supplement 362. London: Sheffield Academic Press, 2003.

Al-Ghabban, Ali Ibrahim, et al. (eds.). *Roads of Arabia: Archaeology and History of the Kingdom of Saudi Arabia*. Paris: Somogy Art Publishers and Musée du Louvre; Washington, DC: Arthur M. Sackler Gallery, Smithsonian Institution, 2010.

Grunebaum, Gustav Edmund Von. «The Nature of Arab Unity before Islam.» in: F. E. Peters (ed.). *The Arabs and Arabia on the Eve of Islam*. The Formation of the Classical Islamic World 3. Ashgate: University of Michigan, 1999.

Hallo, William W. *Origins: The Ancient Near Eastern Background of Some Modern Western Institutions*. Studies in the History and Culture of the Ancient Near East 6. Leiden: Brill, 1996.

Harding, Gerald Lankester. *An Index and Concordance of Pre-Islamic Arabian Names and Inscriptions*. Near and Middle East Series 8. Toronto: University of Toronto Press, 1971.

Herodotus. *Histories*. volume I: Books I-II. translated by A. D. Godley. Loeb Classical Library. Cambridge: Harvard University Press, 1975. book II.

Hoftijzer, Jacob & Karel Jongeling. *Dictionary of the North-West Semitic Inscriptions*. 2 vols. Handbuch der Orientalistik 21. Leiden: Brill, 1995.

Hoyland, Robert. «Epigraphy and the Emergence of Arab Identity.» in: Petra Sijpestein, et al. (eds.). *From Al-Andalus to Khurasan: Documents from the Medieval Islamic World*. Leiden: Brill, 2007.

Israel, Felice. «Les Premières attestations des Arabes.» *Topoi*. no. 14 (2006).

Jeffery, Arthur. *The Foreign Vocabulary of the Qur'ān*. Gackwad's Oriental Series 79. Baroda: [n. pb.], 1938.

Kenyon, Kathleen. *The Bible and Recent Archaeology*. London: British Museum Publications Ltd., 1978.

Klengel, Horst. *Syria, 3000 to 300 B.C.: A Handbook of Political History*. Berlin: Akademie Verlag, 1992.

Krebernik, Manfred. «Von Gindibu bis Muḥammad: Stand, Probleme und Aufgaben altorientalistisch-arabistischer Philologie.» in: Otto Jastrow, Shabo Talay & Herta Harfenrichter (eds.). *Studien zur Semitistik und Arabistik: Festschrift für Hartmut Bobzin zum 60: Geburtstag*. Wiesbaden: Harrousowitz, 2008.

Kropp, Manfred. «Vassal - Neither of Rome nor of Persia: Mar' al-Qays the Great King of the Arabs.» *Proceedings of the Seminar for Arabian Studies*. no. 23 (1993).

Leick, Gwendolyn (ed.). *The Babylonian World*. The Routledge Worlds. New York: Routledge, 2007.

Lemche, Niels Peter. *The Canaanites and Their Land: The Tradition of the Canaanites*. Journal for the Study of the Old Testament: Suplement series 110. Sheffield: JSOT Press, 1991.

Liverani, Mario. «Imperialism.» *Pollock & Bernbeck* (2005).

_______. *Israel's History and the History of Israel*. London: Equinox Publishing, 2007.

_______. «Later Mesopotamia.» in: Feldherr, Andrew & Grant Hardy (eds.). *The Oxford History of Historical Writing*. Oxford: Oxford University Press, 2011.

Macdonald, M. C. A. «Arabians, Arabias, and the Greeks: Contact and Perceptions.» in: M. C. A. Macdonald. *Literacy and Identity in Pre-Islamic Arabia*. Variorum Collected Studies Series. London: Ashgate, 2009.

_______, M. Mu'azzin & L. Nehme. «Les Inscriptions safaïtiques de Syrie, cent quarante ans après leur découverte.» *Comptes rendus des séances de l'académie des Inscriptions et Belles-Lettres*. no. 140 (1996).

Maraqten, Mohammed. *Altsüdarabische Texte auf Holzstäbchen Epigraphische und kulturhistorische Untersuchungen*. Beiruter Texte und Studien 103. Beirut: Orient-Institut; Würzburg: Ergon, 2014.

Markoe, Glenn (ed.). *Petra Rediscovered: The Lost City of the Nabataean Kingdom*. London: Thames & Hudson, 2003.

Michalowski, Piotr. «Early Mesopotamia.» in: Feldherr, Andrew & Grant Hardy (eds.). *The Oxford History of Historical Writing*. Oxford: Oxford University Press, 2011.

_______. «The Presence of the Past in Early Mesopotamian Writings.» in: Raaflaub, Kurt A. (ed.). *Thinking, Recording, and Writing History in the Ancient World: The Ancient World: Comparative Histories*. Malden, MA; Oxford; Chichester: Wiley-Blackwell, 2014.

Millar, Fergus. *The Roman Near East, 31 B.C. - A.D. 337*. Cambridge: Harvard University Press, 1993.

Müller, Walter W. *Sabäische Inschriften nach Ären datiert: Bibliographie, Texte und Glossar*. Veröffentlichungen der Orientalischen Kommission/Akademie der Wissenschaften und der Literatur, Mainz 53. Wiesbaden: Harrassowitz Verlag, 2010.

Nebes, N. *Der Tatenbericht des Yiṯaʿamar Watar bin Yakrubmalik aus Ṣirwāḥ (Jemen) Zur Geschichte Südarabiens im frühen 1. Jahrtausend vor Christus*. Epigraphische Forschungen auf der Arabischen Halbinsel, Band 7. Tübingen: Wasmuth-Verlag, 2016.

OCIANA: *The Online Corpus of the Inscriptions of Ancient North Arabia*, http://krc.orient.ox.ac.uk/ociana/index.php.

Pliny The Elder. *Natural History*. vol. II, Books 3-7. H. Rackham (trans.). Loeb Classical Library no. 352. Cambridge: Harvard University Press, 1961, Book 5.

Pollock, Susan & Reinhard Bernbeck (eds.). *Archaeologies of the Middle East Critical Perspectives*. Oxford: Blackwell, 2005.

Potts, Daniel (ed.). *A Companion to the Archaeology of the Ancient Near East*. Blackwell Companions to the ancient world. Chichester: Wiley-Blackwell, 2012.

Raaflaub, Kurt A. (ed.). *Thinking, Recording, and Writing History in the Ancient World: The Ancient World: Comparative Histories*. Malden, MA; Oxford; Chichester: Wiley-Blackwell, 2014.

Redford, Donald B. (ed.). *The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt*. 3 vol. Oxford: Oxford University Press, 2002.

Retsö, Jan. *The Arabs in Antiquity: Their History from the Assyrians to the Umayyads*. London: Routledge Curzon, 2003.

_______. «'Arab.» in: Kees Versteegh (ed.). *Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics*. V vols. Leiden: Brill, 2006.

Robin, Christian. «Ethiopia and the Arabian Peninsula in Late Antiquity.» in: Scott Fitzgerald Johnson (ed.). *The Oxford Handbook of Late Antiquity*. Oxford: Oxford University Press, 2012.

_______. «La Pénétration des Arabes nomades au Yémen.» dans: Christian Robin (ed.). *L'Arabie antique de Karib'îl à Mahomet: Nouvelles données sur l'histoire des Arabes grâce aux inscriptions* (= Revue du monde Musulman et de la Méditerranée 1991-1993).

Rüsen, Jörn. *Historik - Theorie der Geschichtswissenschaft*. Köln: Böhlau, 2013.

Sand, Shlomo. *The Invention of the Jewish People*. London: Verso, 2009.

Segal, Judah Benzion. «Arabs in Syriac Literature before the Rise of Islam.» *Jerusalem Studies in Arabic and Islam*. no. 4 (1984).

Al-Selwi, Ibrahim. *Jemenitische Wörter in den Werken von al-Hamdānī und Našwān und ihre Parallelen in den semitischen Sprachen*. Marburger Studien zur Afrika - und Asienkunde, Serie B, Bd. 10. Berlin: Verlag von Dietrich Reimer, 1987.

Silberman, Neil Asher. «Desolation and Restoration: The Impact of a Biblical Concept on Near Eastern Archaeology.» *Biblical Archaeologist*. no. 54 (1991).

Smith, Anthony D. *The Ethnic Origins of Nations*. Oxford: Basil Blackwell, 1988.

Sommer, Michael. *Roms orientalische Steppengrenze: Palmyra, Edessa, Dura-Europos, Hatra: Eine Kulturgeschichte von Pompeius bis Diocletian*. Oriens et occidens 9. Stuttgart: Franz Steiner Verlag, 2005.

Streck, Michael. *Das amurritische Onomastikon der altbabylonischen Zeit: Die Amurriter, die onomastische Forschung, Orthographie und Phonologie, Nominalmorphologie*. Bd. 1. Alter Orient und Altes Testament 271/1. Münster: Ugarit-Verlag, 2000.

Thompson, Thomas. *The Mythic Past: Biblical Archaeology and the Myth of Israel*. London: Jonathan Cape, 1999.

Trigger, Bruce G. «Alternative Archaeologies: Nationalist, Colonialist, Imperialist.» *Man*. New Series vol. 19. no. 3 (1984).

Veenhof, Klaas R. (ed.). *Cuneiform Archives and Libraries: Papers Read at the 30e Rencontre Assyriologique Internationale, Leiden, 4-8 July 1983*. Uitgaven van het Nederlands Historisch-Archaeologisch Institute Istanbul, 57. Leiden: Brill, 1986.

Vittmann, Gunter. *Ägypten und die Fremden im ersten vorchristlichen Jahrhundert*. Kulturgeschichte der antiken Welt 97. Mainz: Philipp von Zabern, 2005.

Yahya, Adel H. «Archaeology and Nationalism in the Holy Land.» *Pollock & Bernbeck* (2005).